مجلة إسلامية شهرية جامعة

البعث الإسلامي

الأبواب والتراجم لصحيح البخاري

الدين ، والمجتمع ، والغرب !

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه

مع الدعاء في شهر الدعاء

تنصير المسلمين

الإسلام في اليابان : التاريخ والانتشار

يرفعون البنادق ونرفع الشعارات

مؤسسة الصحافة والنشر

٥٩

المجلد ٥٩

العدد الأول

المجلد التاسع والخمسون

رمضان ١٤٣٤هـ يوليو ٢٠١٣م

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221,2741231, E-mail:nadwa@sancharnet.in

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الأول- المجلد التاسع والخمسون - رمضان ١٤٣٤هـ يوليو ٢٠١٣م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:

أختر سهيل

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي-ره)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١ - ٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة ٣٠٠/٠٠روبية

ثمن النسخة: ٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT

NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,

LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الأول – المجلد التاسع والخمسون – رمضان ١٤٣٤هـ يوليو ٢٠١٣م

أخي القارئ :
المجلد التاسع والخمسون — سعيد الأعظمي — ٣

الافتتاحية :
الدين ، والمجتمع ، والغرب ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي :
الأبواب والتراجم لصحيح البخاري — سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٩
مع الدعاء في شهر الدعاء — الدكتور غريب جمعة — ١٢
تصير المسلمين — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٣

الدعوة الإسلامية :
ملامح الإعجاز القرآني في التفسير البياني — الدكتور جمال الدين الفاروقي — ٢٧
الإسلام في اليابان : التاريخ والانتشار — الدكتور صالح السامرائي — ٣٦
يرفعون البنادق ونرفع الشعارات — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤٧

رجالات العلم والتاريخ :
سيرة النبي بقلمي شبلي النعماني ، والسيد سليمان الندوي — الدكتور محمد أنظر الندوي — ٥١
لمحات من حياة بديع الزمان سعيد النورسي — الأستاذ إحسان قاسم الصالحي — ٦١

دراسات وأبحاث :
علم التفسير : نشأته وتطوره — الدكتور محمود عالم الصديقي — ٦٦
المدارس الإسلامية ومسئولياتها — الأستاذ محمد سليمان الكوثري — ٧٢
علي أحمد باكثير : أضواء على حياته ودراسة بعض أعماله — الدكتور عبيد الرحمن طيب — ٧٨

صور وأوضاع :
بمن يثق الإنسان فيما ينوبه — محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٥

من كنوز القرآن الكريم :
تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٩

بأقلام الشباب :
لماذا يطالب المسلمون بتشريعات تجرم الإساءة للأنبياء والأديان — الأستاذ حبيب الناملیتي — ٩٦

إلى رحمة الله تعالى :
فضيلة الشيخ اجتباء الحسن الكاندهلوي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٨
فضيلة الشيخ زين العابدين الأعظمي القاسمي في ذمة الله تعالى — ٩٨
حرم الشيخ محمود الأزهار الندوي إلى رحمة الله تعالى — ٩٩
الأستاذ صغير أحمد الندوي في ذمة الله تعالى — ١٠٠

أخي القارئ :

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد التاسع والخمسون

[دخلت المجلة خلال رحلتها العلمية والصحفية عامها التاسع والخمسين ، فكيف لا يكون لساننا رطباً بالشكر لله تعالى وكيف لا يكون القلب مفعماً بعواطف الحمد له ودوافع الثناء عليه ، ولولا التوفيق الرباني العظيم ، ولولا التأييد الخالص من الله سبحانه الجليل لما كان لهذا العمل الصحفي أي قيمة ، ولما كانت المجلة نالت الاعتبار والثقة من قرائها الكرام ، أضف إلى ذلك دعاء شيخنا ومربينا العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) واهتمامه الكبير بتركيز الأقلام على جبهة الدعوة إلى الله والتربية الدينية الخالصة ، وبذلك نالت المجلة نعمة القبول على المستوى العالمي .

كما أن رئيس تحريرها المرحوم الأستاذ السيد محمد الحسني وحرصه الشديد على تطويرها أثمرت ثماراً يانعة جنية ، وازدهرت واستمرت على الخط الذي سارت عليه من أول يومها .

وقد كانت للتوجيهات الرشيدة التي تكرم بها سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء العام اليوم) واعتمدتها المجلة ، أهمية قصوى في ارتفاع شأنها وتميز مكانها وقد استفاد منها العاملون في المجلة بالغ الاستفادة ، فلم يألوا جهداً في استشارته في كل مرحلة ، فله الشكر الجزيل على هذه التكرمة ، وهو لا يزال يدعو للعاملين فيها ويكرمهم بما يحتاجون إليه من مشورة وتوجيه .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لنا التوفيق إلى إحسان عملية البعث الإسلامي والاستمرارية في فاعليتها التي تكون لنا نبراساً للعمل الإسلامي في مستقبلية الأيام – والله تعالى ولي التوفيق والسداد] .

(سعيد الأعظمي)

الافتتاحية:

الدين ، والمجتمع ، والغرب !

الله سبحانه وتعالى خلق ﴿الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ، ووفر له جميع الآليات التي تساعده على أداء حقه لخالقه العظيم الذي أنعم عليه بما لا يأتي عليه الحصر من نعم الحياة والتميزات الكثيرة بإزاء الكائنات الأخرى ، ففي التركيبة الجسمانية والعقلية والشعورية ثم الحضارية آيات تختص بالإنسان وحده ، وتمهد له الطريق نحو استخدام طاقاته المكنونة لتأدية ضرائب العبودية بجميع أشكالها في ضوء ذلك الدستور السماوي الذي أنزل على خاتم النبيين محمد ﷺ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ❖ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ❖ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (سورة الإنسان الآيات/٢٣ – ٢٥) .

من خلال هذا التوجيه العلوي وجدت البشرية طريقها نحو العيش في هذه الدنيا ، يضيئ لنفسه طرق النجاح والسعادة باتخاذ القرآن دستوراً خالداً منسجماً مع القوى الجسمانية والطاقة الروحية للحياة المزدوجة من العقيدة والعمل ، ومن الإيمان والسلوك ، ومن ثم كان الإنسان المسلم نموذجاً أمثل للجمع المتزن بين الروح والمادة ، وحسنتي الدين والدنيا ، فصنع بذلك تاريخاً مشرقاً للعالم البشري الذي يتوخاه الإسلام دون أن ينحاز إلى الدنيا وحدها ويتناسى الآخرة ، كما قد صرح بذلك كتاب الله العظيم قائلاً :

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ❖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ❖ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة البقرة الآيات/٢٠٠ – ٢٠٢) .

وفي ضوء الدستور القرآني والتوجيه الرباني تكوّن مجتمع إنساني مثالي في هذا العالم ، فمثل أعضاء هذا المجتمع الكريم قدوة تتميز بالعدل والحق والقيم الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية التي تشمل العلم والدين

والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة والإيمان والعقل ، شهد التاريخ أمثلة لهذا المجتمع العادل فيما مضى من التاريخ وذاق العالم البشري طعم العدالة الاجتماعية التي توسع نطاقها إلى الآفاق ، وكأن الإنسان أدرك ضالته وقام حكم الإسلام في أنحاء العالم شرقاً وغرباً ، فعاش الناس في سعادة أي سعادة ، وامتدت ظلالها على المستوى العالمي ، ولم تعد للحضارتين الشرقية والغربية إلا أسماء ورسوم وكانت قد أوشكت شمسهما على الغروب .

ذاك هو الواقع الذي أقلق معارضي الإسلام ومناوئيه من بقايا الديانات البائدة التي تهشمت وفقدت أصالتها وتأثيرها وأصبحت مجموعة من الطقوس والعادات التي لم تكن تمت إلى الحقيقة بأي صلة مع ما اكتسبه الإسلام من إقبال وقبول وانتشار بين جميع المجتمعات الموجودة يوم ذاك ، الواقع الذي أثار غيظ زعماء هاتيك الديانات المشوهة ، وأقامهم لمقاومة الدين الإسلامي ومحاربة الحضارة الإسلامية التي نالت أوسع قبول على مستوى العالم ، وقد أوجدوا وسائل ذات تأثير للصدّ عن سبيل الله والعودة بالناس إلى جاهلية هابطة باسم الحضارة والديانة ، وأرادوا عبر ذلك أن يسودوا الناس ويتزعموهم ، فتنافس اليهود والنصارى فيما بينهم ، كل واحد منهما أراد أن يتبوأ منصب الزعامة ، ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ، وما سجله التاريخ من خلاف وعداوة بين زعماء الديانتين ليس خافياً على متابعي التاريخ ودارسيه ، إلا أن متبعي اليهود والنصرانية كانوا متحدين ضد الإسلام وكانوا يعيشون حقداً عليه وعلى أتباعه منذ بدء التاريخ الإسلامي ، وقد تبين هذا الحقد مع غلبة الإسلام واتساعه .

وقد حاول زعماء الغرب هدم صرح الإسلام وتزييف حضارته المشرقة بوسائل وأساليب متعددة ، فتارة بتشويه تاريخ الدين الإسلامي واتهام المسلمين بالغزو والنهب ، وتارة بأن هذا الدين كان موقتاً وقد مضى عهده ، وتم عمله ، وتارة بالهجوم على كتاب الله تعالى القرآن الكريم

وتأكيد أنه ليس إلا من صناعة محمد (ﷺ) (والعياذ بالله) ، وأخرى بتكذيب رسولنا العظيم ﷺ ونشر كاريكاتوريا في الصحف والجرائد والسخرية من شخصيته العظيمة ورسالته التي أُرسل بها رحمة للعالمين ، وأحياناً بالتضحيك والهزء بالعقائد والعبادات ، وغيرها من حيل وفنون .

وأخيراً ، وليس آخراً ، بقذف "قنابل ذرية" على المجتمع المسلم وتفكيك عراه باسم المرأة وإخراجها من حرم البيت ومدرسة التربية الأولى إلى الشوراع والأسواق بكل وقاحة ورذالة ، وبإبراز مواضع الفتن والحياء ، ولبسة قصيرة ملتصقة بالجسم وأعضاء الحشمة ، عري ليس بعده عري ، مما أدى إلى ذوبان المجتمع المسلم في بلدان الشرق التي كانت تتميز بالتزام التقاليد الاجتماعية وتداعيات القادة والدعاة في الشئون الحيوية كلها ، وكان لها شأن في مجالات الحياة فردية وجماعية ولكنها لم تكد تصمد أمام هذا الغزو الحضاري البشع ، بل وتأثرت وخضعت له ، وعجزت عن مقاومته ففتحت أبوابها لكل ما جاء به الغرب من برامج هدامة للمجتمع البشري ، تهدم المسار الطبيعي الذي قرره الإسلام لجنسي الذكور والإناث ، وإن الحيد عنه يورث مشكلات اجتماعية وفردية كثيرة ، منها التحرر الجنسي والاختلاط الشائن المعيب الذي يقضي على الحشمة والحياء ويمهد الطريق إلى الفاحشة بالرضا حيناً وبالإغراء والإكراه حيناً آخر ، ومعلوم أن الفتاة إذا كانت شبه عارية وهي تتجول في الشوارع فإن الشيطان ينال فيها مرتعاً خصباً للإغراءات الجنسية ، ويثير في النفوس ثورة على جميع التقاليد والتعاليم والعادات ، ولا يبالي أي واحد من الجنسين بما إذا مارس الشهوات أمام الأشهاد ، وقد تكون هناك جماعة من الفتيان يشفون غليل الفاحشة بصفة اجتماعية مع فتاة واحدة مهما كانت النتائج ، أما الاعتداء الجنسي فأصبح عادة في سن مبكرة ، وقد يؤدي ذلك إلى جرائم وحشية من القتل والإحراق للمصابة ، إسدالاً على الجريمة الوحشية التي اقترفها المعتدي .

نتيجة لهذه السبعية التي تولاها زعماء الغرب باسم الحضارة خرجت

الفتيات المسلمات من المخادع والمنازل إلى العالم الخارجي الزاخر بالأدواء الخلقية والأدبية والجنسية الخطيرة ، ونزلت إلى الشوارع والأسواق ، ومخازن أدوات التجميلات لاختيار أجمل الألوان والأدوات وشرائها بكل سخاء ، وإن متاجر الملابس الجاهزة ، تكون عامرة بل مزدحمة من الفتيات والشابات وخاصة وحدات التفصيل والقياس فيها حيث تقوم كل فتاة وسيدة باختيار الملابس الغربية وقياسها على جسدها وخاصة "بنطلون جينز" الذي تختاره الفئة الشبابية من البنات المسلمات ، رغم أن هذا ومثله يعتبر دعوة الشباب إلى مكامن الفحشاء التي حلت محل الحاجات الأساسية كالطعام والشراب ، وأصبحت كلمات الاحتشام والغيرة والحجاب مطرودة من قاموس الحياة المعاصرة وبالتالي نالت الفاحشة جولة وصولة في المجتمعات المسلمة أيضاً ، وصار لها وكلاء وسماسرة يتاجرون بالأعراض ويصيدون جنس الشباب والشابات لترويج بضاعتهم على جميع المستويات ، كأن ذلك أحد المواضيع من الاقتصاد والنشاطات التجارية ضمن موضوعات اقتصادية تحويها نظرة العولمة ، التي أوجدها الغرب لتحطيم البنية التحتية التي يقوم عليها صرح الحياة الإسلامية الاجتماعية ، والتي تصنع الإنسان المثالي الذي يملأ العالم البشري بالأمن والهدوء والسعادة والسلام ، ويصله بالعالم السماوي حيث يناجي الضمير الإيماني ويعيش معه ويؤثر الحب والإيمان والورع على جميع ما ينافي منصب الإنسانية الأعلى والخلافة في الأرض .

لقد طالت تجارب الغرب في اقتلاع جذور الحضارة الإسلامية وهدم القيم الخلقية ، وإذابة المجتمع المسلم أو تجريده عن الفضائل الإنسانية ولكنه لم ينجح بالكلية في كل ما حاول ، بل وجد أن واقع الاعتناق بالإسلام في اتساع مدهش في الغرب نفسه وفشلت التدابير كلها في وضع عائق عنه أو بناء سد على هذا السيل الجارف ، ولعل زعماء الغرب توصلوا أخيراً إلى إيجاد طرق الفساد والرذائل باسم الحضارة والأناقة والجمال وتنشيط وكالاته لتصدير ذلك إلى المجتمعات والدول المسلمة بواسطة الأزياء

الحديثة والموضات الجديدة وترويجها بين أجيال الفتيان والفتيات وتجريدها عن لباس الاحتشام والزينة ، ثم تنفير الحجاب الإسلامي إليها ، وتشجيعها على الخروج من مقار البيوت والمنازل إلى الشوراع والحدائق العامة بملابس قصيرة شفافة لا تستر مواضع الفتن ومكامن العورات ، وقد عم هذا الأسلوب من الأطفال إلى الشباب والكبار .

ولا ريب أن هذه التجربة أسهل ذريعة إلى إفساد المجتمع ومساومة الأعراض وبيع العفاف وإشباع الشهوات الجنسية والانحلال الخلقي وذوبان الحياء والحشمة وتحوّل البشر إلى البهائم والوحوش ، وبذلك تخرج أهمية الدين من النفوس وتتحلل وتذوب القيم الإنسانية جمعاء ويخلو الطريق للأهواء الخبيثة وللشيطان الرجيم وينضم المجتمع المسلم إلى المجتمعات المادية المتحللة ، ويمارس كل شخص إشباع الجنس من غير خوف ، ويذهب الوازع الديني إلى حيث لا رجعة له منه .

يجب أن نتأمل الأوضاع التي تحيط بحياة المسلم ، ونعرف باقتناع كامل فعاليات الغرب نحو طمس معالم الحضارة الإسلامية واستبدالها بحضارة الرذائل والمعاصي التي تحلق الإيمان من قلوب الناس ، وترميهم في حفرة الهلاك والدمار إلى أبعد المدى ، وليت الغرب أعاد دراسة نظرية الفصل بين الدين والدولة في أضواء المسلمات الحضارية التي أدت بالعالم البشري إلى هذه النتائج الوخيمة التي تتلخص في تمزيق الوحدة الإنسانية وتفريق المنظومة البشرية ، التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان وذكّره بها حينما قال : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٤/٠٦/١٧هـ ٢٠١٣/٠٤/٢٩م

التوجيه الإسلامي:

الأبواب والتراجم لصحيح البخاري

بقلم : سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

هذا المقال مقدمة لكتاب "الأبواب والتراجم لصحيح البخاري" من تأليف المحدث الجليل العلامة الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي رحمه الله تعالى (م ١٤٠٢هـ) دفين البقيع ، قام بالتحقيق والتعليق عليه فضيلة الشيخ الدكتور ولي الدين بن تقي الدين الندوي ، وقد قدم للكتاب سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام على طلب من المحقق الكريم ، ننشرها في مجلة البعث الإسلامي تعميماً لفوائد الكتاب وتعريفه إلى القراء الكرام [التحرير] .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فإن كلام الرسول ﷺ وعمله وتقريره مصدر ثان للشريعة الإسلامية بعد مصدرها الأول ، وهو كتاب الله العزيز والفرقان الحميد الذي هو وحي من الله متلو ، وجاء على أثره الوحي غير المتلو الذي هو حديث آخر رسل الله تعالى وأنبيائه محمد بن عبد الله الأمين ، الذي أكمل الله عليه الدين ، وأتم عليه نعمته التي ينال بها الإنسان خيري الدنيا والآخرة ، بالأخذ مما اشتمل عليه هذان المصدران للشريعة الإسلامية – كتاب الله تعالى ، وحديث رسوله الكريم ﷺ – ، ويؤدي بذلك المسؤولية العظمى التي كلف الله تعالى بها الإنسان ، وجعل فوزه وفلاحه تابعاً لأدائه الأمانة التي وضعها رب العالمين عليه بقوله : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٧٢) .

وقد وعد الله تعالى بحفظ وحيه المتلو – القرآن المجيد – ليعرف الإنسان من كلامه الصراط المستقيم لحياته ، وجعل المصدر الثاني حديث الرسول ﷺ – معاوناً له ، وأمر الله تعالى العمل به أيضاً مثل عمله بكتابه العزيز .

ولأهمية هذا المصدر الثاني أيضاً جعل الله تعالى حفظه تابعاً لحفظ المصدر الأول ، وهيأ لحفظه أيضاً أسباباً قوية مع تهيئة أسباب الحفظ للمصدر الأول القرآن الكريم ، فقد سخر الله تعالى لحفظ المصدر الثاني – الحديث النبوي الشريف – رجالاً من الأمة الإسلامية كرّسوا حياتهم لخدمة روايات الحديث الشريف تحقيقاً وتنقيحاً ليكون موثوقاً كاملاً ، ومصدراً واسعاً جامعاً لهذا الدين ؛ فاهتم العلماء بخدمة حديث الرسول ﷺ منذ وصوله إليهم ، فجمعه الرواة الثقات في كتب من الصحاح عديدة ، وكذلك قاموا بتنقيح رواياته وتحقيق متونه مهتمين بذلك اهتماماً لا يوجد له نظير في أي دين أو أمة في التاريخ الإنساني .

وقد بلغ عمل تنقيح الروايات وتحقيق صحتها إلى أعلى مكانة الثقة والكمال في كتاب إمام المحدثين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٤هـ – ٢٥٦هـ) من بين كتب الحديث الصحاح الموثوق بها الأخرى .

ولا شك أن لكل تأليف في الصحاح الست من المزايا والخصائص ما تستحق كل تقدير ، ولكن كتاب الإمام البخاري الجامع الصحيح لا يلحقه في الصحة غيره من أمهات الكتب ، فقد حل بذلك هذا الكتاب درجة أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

والمنهج الذي اختاره الإمام البخاري في كتابه الصحيح امتاز بخصائص تمتاز على ما في كتب الأحاديث الأخرى ، ومنها ذكر تراجم الأبواب لما رواه من أحاديث الرسول ﷺ ، يشير بها إلى معان مفيدة ، ويشرح مفهوم الحديث الشريف مدعماً بآيات من كتاب الله العزيز ، وقد أودع فيها الإمام البخاري من الأسرار والمعاني ما يحير العقول والأفكار ، فالدارس لكتابه الصحيح يستفيد من تراجم أبوابه أيضاً كما يستفيد من متون الحديث الشريف وروايته .

وقد اعتنى العلماء بهذه التراجم لقيمتها العلمية ، وألفوا كتباً في شرحها وايضاحها ، فمنها كتاب العلامة الكبير المحدث الجليل سماحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله رحمة واسعة ، الرئيس السابق لقسم علوم الحديث الشريف في جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور ، فإنه ألف كتاباً قيماً في تراجم الأبواب لصحيح الإمام البخاري ، ذكر فيه ما تبين له

من خصائصها وفوائدها خلال تدريسه لصحيح الإمام البخاري مدة طويلة ، وما اطلع عليه في كتب شروح الحديث ومؤلفات أخرى ، فإنه ذكر أصول التراجم هذه في بداية الكتاب ، ثم ذكرها بتفصيل ، وجمع فيه كلام الشارحين لكتب الحديث المختلفة ، وكذلك مما سمعه من مشايخه في الدرس ، وما منّ الله به عليه وشرح صدره لفهمها ، فشرح فيه أبواب الكتاب وتراجمه باباً باباً وترجمةً ترجمةً ، وذكر فيه غرض الباب ومناسبة الأثر بالترجمة ، وذكر أصول التراجم ، وبلغ عددها نحو سبعين أصلاً ، فجاء كتابه كموسوعة في هذا الصدد .

واقتفى أثر سماحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في تحقيق الحديث تلميذه البار الباحث لعلم الحديث الدكتور تقي الدين الندوي ، فصدرت بتحقيقه كتب عديدة في الحديث الشريف ، وأراد إصدار أفضل نسخته لكتاب الإمام البخاري ، فاعتنى بحاشية العلامة المحدث أحمد علي السهارنفوري ، ولا يزال الدكتور الشيخ مشتغلاً في عمله على هذه النسخة الجليلة (١) ، وكان يريد أن يقوم أيضاً بعمل التحقيق والتعليق على كتاب العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في بحث الأبواب والتراجم لصحيح البخاري ، فلم يجد في وقته فسحة لهذا العمل ، فأسند العمل إلى نجله الدكتور ولي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية بدبي ، وهو باحث محقق أيضاً ، أدى أعمالاً علمية مختلفة ، وصدرت كتب عديدة بتحقيقه ، فقد تربى على والده المحدث الجليل فضيلة الدكتور الشيخ محمد تقي الدين الندوي ، فقام الدكتور ولي الدين بالتعليقات والتحقيقات المفيدة على هذا الكتاب تحت إشرافه ، فجاء هذا الكتاب بتحقيق وتعليق مفيدين ، فسيكون الانتفاع به انتفاعاً واسعاً .

أرجو أن يكون عمله هذا مساعداً كبيراً للاستفادة من كتاب سماحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في تراجم أبواب الصحيح للإمام البخاري ، تقبل الله تعالى عمله هذا وجزاه خير الجزاء .

---

(١) بحمد الله قد طبع الكتاب في خمسة عشر مجلداً من دار البشائر الإسلامية – بيروت .

مع الدعاء في شهر الدعاء

بقلم :الأستاذ الدكتور غريب جمعة
جدة – المملكة العربية السعودية

إن خير ما نستفتح به هذا المقال هو قوله تبارك وتعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٦) ولا شك أن ورود هذه الآية الكريمة بين آيات الصيام يحتاج منا إلى وقفة تدبر راجين أن يفتح علينا الفتاح العليم ونحن إذا تأملناها نجد أن الخطاب فيها قد توجه إلى النبي ﷺ وحده لأنه في مقام التبليغ عن ربه وهذا تعظيم لشأنه ﷺ بأنه يسأله المسلمون لمعرفة أمر الله تعالى على الرغم من أن الخطاب في الآية التي قبلها كان موجها للمؤمنين بقوله تعالى : ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) وكان نظم الآية يشير إلى أن الله تعالى بعد أن أمرهم بما يجب عليهم أكرمهم فقال : ،إذا سألوا عن حقهم علي فإني قريب أجيب دعوتهم ، وقال بعض العلماء : إن ذكر الدعاء بعد ذكر الشكر للدلالة على أن الدعاء يجب أن يسبقه الثناء ، والعباد الذين تشرفوا بالإضافة إلى ضمير الجلالة ، هم المؤمنون ولا شك ، لأن الآيات كلها في أحكام الصيام ولوازمه وهو شعار المؤمنين ، وقوله تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل : قل لهم إني قريب ، إيجاز لظهوره من قوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ وفيه لطيفة قرآنية وهي أن الله تولى جوابهم عن سؤالهم بنفسه جل جلاله إذ حذف من الألفاظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ .

والآية تشير إلى أن الصائم مرجو الإجابة – إن شاء الله – وإلى أن شهر رمضان مرجوة دعواته وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من أيام هذا الشهر ، لذلك لم يكن بدعا من القول أن نجعل عنوان هذا المقال : "مع الدعاء في شهر الدعاء" ويؤكد هذه المشروعية ما رواه ابن ماجه عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : "إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد" قال ابن أبي مليكة : سمعت عبد الله بن

عمرو يقول إذا أفطر : "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي" (رواه الحاكم في مستدركه) .

وقوله تعالى "فليجيبوا لي" تفريع على "أجيب" أي إذا كنت أجيب دعوة الداعي فليجيبوا أوامري واستجاب وأجاب بمعنى واحد وهو مجاز مشهور عن تحقيق ما يطلبه الطالب .

وإذا كانت هذه منزلة الدعاء فلا عجب أن يصفه رسول الله ﷺ : بأنه هو العبادة ، فعن النعمان بن البشير رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال :

"الدعاء هو العبادة" (رواه أبو داود في الصلاة ، باب الدعاء١٤٧٩ ، والترمذي في الدعوات ، باب الدعاء مخ العبادة ٢٩٧٣) .

قال القاضي عياض – يرحمه الله – : أي العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة للدلالة على الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه ، وقد أفاد الحديث أن مفهوم العبادة شامل لكل طاعة وتضرع وانقياد لله تعالى ، ولكن الدعاء لا يعني عن العبادات المفروضة من صلاة وصوم وزكاة وحج وإنما هو داخل في شمول العبادة وإظهار العبودية لله تعالى .

لذلك – لا عجب أن تظل هذه العوامل المترامية في أبعاد الفضاء الذي لم تزل حدود نهاياته مجهولة أن تظل خاشعة ضارعة صارخة هاتفة بجلال رب العالمين ، الذي أوجدها من العدم وصاغها على ما هي عليه ، إنك لو تأملت السموات وما فوق السموات لألفيت الملائكة الكرام خشعاً سجداً هاتفين بالدعاء لرب العالمين ، وهم من حملة العرش ومن حوله تسمعهم في ضراعتهم مسبحين بحمد ربهم مستغفرين للذين آمنوا قائلين كما ذكر القرآن الكريم :

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(سورة غافر الآيات/٧ – ٩) .

وما شأن عوالم الجن والإنس والعوالم القريبة والبعيدة بمختلف عن ذلك ، بل تجدها جميعاً خاشعة ضارعة منقادة إلى رب العالمين تنادى : سبحانك لا إله إلا أنت الملك القدوس الذي تخشع له كل الكائنات طوعاً وكرهاً والوجود وكل من في الوجود .

وأنت ترى الخلائق ، منذ وجودهم الأول وإلى نهايتهم وهم يلتمسون الليالي المباركات والمناسك والمعابد للضراعة والدعاء وأي ليل أولى من ليالي رمضان بذلك ؟

حقاً إن الدعاء هو الإيمان اليقيني لأن الداعي لا يرفع يديه ضارعاً إلا وملء قلبه الخشوع والثقة في إجابة رب العالمين لدعائه ، أي إنك إذا أردت أن تتعرف روح العبادة وعقلها وسرها ومناط سعادتها فإنك تجد ذلك كله ماثلاً في الدعاء ، لأن الداعي الذي يقف بين يدي ربه خاشعاً خاضعاً وهو يهتف : يا رب .. يا رب .

ويناديه في ظلمات الليل ، وفي السجود فإنه لا ريب لا يفعل ذلك إلا عن إيمان ويقين بأن الله يسمعه ويستجيب له من واسع رحمته وفضله وهو على خلقه رقيب ، والرقيب من خلقه قريب ولدعائهم مجيب .

ضراعة صادقة على إثرها إجابة لاحقة :

وهكذا فإن الضراعة الخاشعة الصادقة تفتح أبواب القبول والإجابة اللاحقة ، وإليك أخي القاري طائفة من الأدعية التي هتفت بها قلوب جماعة من الأنبياء عليهم السلام قبل أن تجري على ألسنتهم لترى رأى العين صدق ما تقرأ ، وأنبياء الله وهم من هم منزلة عند الله تعالى وقرباً منه سبحانه ولكنهم لم يركنوا إلى تلك المنزلة وذلك القرب ، بل توجهوا إليه في ضراعة صادقة تجد بعدها إجابة لاحقة .

هذا آدم أبو البشر عليه السلام لما أكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها يتوجه وزوجه إليه بالضراعة قائلين : ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٢٣) .

فتقبل الله ضراعته وعفا عنه وغفر له بل واجتباه وكان من عباده المخلصين بل كان أول نبي أرسل إلى ذريته يقول تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة الآية/٣٧) يقول جل شأنه :

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (سورة طه الآيتان/١٢١ – ١٢٢) .

وهذا نوح عليه السلام حين أعياه تمرد قومه على الإيمان بالله وتصديقه ، واستمساكهم بتقاليدهم وعاداتهم الوثنية غير مكترثين به وبدعائه لهم ليلاً ونهاراً ، جهاراً وإعلاناً وإسراراً أوحى الله إليه لما آسفه تمرد قومه وعصيانهم له وتهافتهم على الكفر وتظاهرهم له ، غير ناظرين إليه ، أوحى الله إليه ليعلمه أنه لا رجاء فيهم ولا هدى لهم ولا خير من ورائهم وأنه لن يؤمن إلا من قد آمن منهم ، وحينما علم نوح بتلك الحقيقة المرة توجه إلى ربه خاشعاً ضارعاً قائلاً :

﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ۞ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ (سورة نوح الآيتان/٢٦ – ٢٧) .

وأتبع ذلك الدعاء بالمغفرة لنفسه ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات وبالدعاء على الظالمين بزيادتهم هلاكاً على هلاك ، يقول تبارك وتعالى مبيناً هذه الضراعة :

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً﴾ (سورة نوح الآية/٢٨) .

واستجاب الحق تبارك وتعالى لهذه الضراعة الصادقة كما قال تعالى :

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر الآيات/١١ – ١٧) .

وتأمل السورة المسماة باسم "سورة الأنبياء" تجد نماذج من هذه الضراعة الصادقة التي تتبعها الإجابة اللاحقة ، ولا حرج على فضل الله .

هذا أيوب عليه السلام يعلن افتقاره إلى رحمة ربه وقد أصابه ما أصابه من البلاء ولكن أدبه مع مولاه جل جلاله يجعله لا يزيد في دعائه عن إظهار الافتقار إلى رحمته وهو أرحم الراحمين ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/٨٣ – ٨٤) .

أي حققنا له سؤله رحمة من رحمتنا وتذكرة وعبرة لسواه ممن يعبدون الله ليصبروا كما صبر فيجابوا كما أجيب ويثابوا كما أثيب .

وهذا صاحب الحوت يونس (ذو النون) عليه السلام ، ينادى في الظلمات الكثيفة التي يعلو بعضها فوق بعض ظلمة بطن الحوت ، ظلمة البحر وظلمة الليل ، ينادى منزها ربه كل التنزيه ، ناسبا الظلم إلى نفسه وهو في هذه الكربات والغموم ، فأي أدب ذلك حيث لم يقل رب نجني مما أنا فيه

يقول الله تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٨٧ – ٨٨) .

وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يفتح باب الأمل لكل مغموم – على مصراعيه – حتى لا تذوب نفسه حسرات قد تفضى به إلى الإنهيار والانتحار والعياذ بالله وليعلم أن الله معه بنجاته إن كان معه بصدق مناجاته .

وتأمل حديث رسول الله ﷺ حول الدعاء عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له" (رواه الترمذي) .

وهذا زكريا عليه السلام تتوق نفسه إلى الولد الصالح – وليس أي ولد – ليرثه في العلم والدين والنبوة بعد أن خاف أن لا يحسن أبناء عمومته خلافته من بعده وقد علت سنه ووهن عظمه مع عقم زوجته ، ها هو ذا ينادي ربه نداء خفياً مظهراً ذلته وانكساره وافتقاره فيسمع الكريم الدعاء ويلبي النداء ويحقق الرجاء ، يقول تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (سورة

الأنبياء الآيتان/٨٩ – ٩٠) وإذا كان دعاء ذي النون يفتح باب الأمل لكل مفهوم فإن دعاء زكريا يفتح باب العطاء لكل محروم ، وكل من فضل الله جل جلاله ولا حرج على فضله فهو ذو الفضل العظيم .

واستمع إلى مناجاة وضراعة خاتم رسل الله التي اهتزت لها السموات والأرض ونزلت من أجلها الملائكة ، حين عودته من الطائف بعد أن رده أهلها أسوأ رد ، كما هو معلوم من كتب السيرة .

"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين" أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله" (رواه مسلم) .

ولو ذهبنا – أخي القارئ نتبع دعوات الأنبياء والسلف الصالح لطال بنا المقام وهي مبثوثة في كتب عديدة ، وحسبنا هذه القطوف المنيرة من هذه الدعوات

ولما كان الدعاء هو مظهر العبودية الحق والافتقار الصادق أمر الله عباده به فقال عز من قائل : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (سورة غافر الآية/٦٠) .

وهكذا مع هذا الأمر بيّن الله سبحانه – كما ترى – أن الذين يتعاظمون عن عبادته والضراعة له سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين ، نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء .

ولكن أي دعاء يتقبله الله – أخي القارئ – إنه الدعاء الذي توافرت له كل آداب الدعاء والتي ينبغي أن يراعيها كل من يدعو ويتضرع إلى ربه حتي يكون دعاؤه أرجي للقبول – إن شاء الله – وهي منثورة في كتب كثيرة ونحن نذكرها هنا إتماماً للفائدة وتنبيها للغافل ومعونة للعاقل .

الأول : اختيار الأزمان الشريفة التي تكون أرجى للإجابة ونحن المسلمين نلتمس هذه الأزمنة التماساً دقيقاً حسّاساً ، نلتمس يوم عرفة ، والليالي العشر وليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ووقت السحر ، ولا يعرف مناجاة السحر وقدرها إلا من ذاقها ، ويوم الجمعة وليلته ، وأدبار

الصلوات ، وبين الأذان والإقامة ، وعند ختم القرآن ، وكذلك اختيار الأحوال الشريفة كحال السجود والتقاء الجيوش ، ونزول الغيث وحال رقة القلب التي نستشعر فيها ضعفنا واذكسارنا واضطرارنا فنجأر إليه خاشعين متذللين مرددين قوله تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ .

الثاني : تحرى الحلال الطيب والتورع عن الحرام الخبيث وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حيث يقول : "يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، يمد يديه إلى السماء يقول : "يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك" ؟ (رواه أحمد ومسلم) .

الثالث : استقبال القبلة ورفع اليدين ومسح الوجه بهما في آخر الدعاء .

الرابع : حضور القلب وعدم شرود الذهن وإظهار الذلة والافتقار والضعف والانكسار والضراعة الخالصة لله عز وجل وليكن الصوت بين المخافة والجهر قال تعالى : ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ (سورة الإسراء الآية/١١٠) .

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الأعراف الآيتان/٥٨ – ٥٩) .

قال ابن جرير رحمه الله : تضرعاً أي تذللاً واستكانةً لطاعته ، وخفية : أي بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بواحدانية وربوبيته فيما بينكم وبينه لاجهاراً ولا مراءاة .

والاعتداء في الدعاء أن يطلب الإنسان ما لا يحل له لرتبة الأنبياء مثلاً ، لذلك يقول رسول الله ﷺ "سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وحسب المرء أن يقول" "اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل" (أخرجه أحمد وأبو داؤد) .

الخامس : على الداعي أن يكون على طمع في الإجابة من الله عز

وجل ما دام قد استوفى شروط الدعاء فإن رسول الله ﷺ يقول : "أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة" (أخرجه الترمذي في الدعوات رواه أحمد) ولا ينس قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي إن رحمة الله قريب من الداعية بلسان ذاكر شاكر وقلب حاضر طاهر ، ومن التضرع والخفية أن يتجنب الإنسان الصياح والصراخ في دعائه فقد روى عن أبي موسى الأشعري قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله ﷺ : "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائب إنما تدعون سميعاً بصيراً إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كنزاً من كنوز الجنة : لاحول ولا قوة إلا بالله" (أخرجه البخاري ومسلم) .

وهنا لطيفة قرآنية ينبغي أن نغتنمها ولا نمر عليها دون تدبر لها في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

يقول العلامة الجليل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور "(رحمه الله) : إحسانه وإيتاؤه الخير ، والقرب حقيقة دنو المكان وتجاوره ويطلق على الرجاء مجازاً ، يقال : هذا قريب أي ممكن مرجو فالقريب هنا المرجو الحصول بقرب المكان ، وسبب قرب رحمة الله منهم أنهم يدعونه خوفاً من عقابه باجتناب المنهيات وتيسير أسباب اجتنابها وطمعاً في ثوابه بامتثال المأمورات ، وهذا من صميم الإحسان في العمل فكأنهم يعبدون الله عبادة من هوحاضر بين يديه فيستحي من أن يعصيه فالتقدير : وادعوه خوفاً وطمعاً وأحسنوا ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثم يقول : وعدم لحاق علامة التأنيث لوصف "قريب" مع أن موصوفه مؤنث وجهه علماء العربية بوجوه كثيرة وأحسنها عندي قول الفراء وأبي عبيدة : إن قريباً أو بعيداً إذا أطلق على قرابة النسب أو بعد النسب فهو مع المؤنث بتاء ولا بد ، وإذا أطلق على قرب المسافة أو بعدها جاز فيه مطابقة موصوفه وجاز فيه التذكير على التأويل بالمكان وهو الأكثر ، قال الله تعالى ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ وقال ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ ولما كان إطلاقه في هذه الآي على وجه الاستعارة من قرب المسافة جرى على الشائع في استعماله في المعنى الحقيقي وهذا من لطيف فروق العربية في استعماله المشترك إزالة للإبهام الإمكان" (تفسير التحرير والتنوير ، ط/١ عام ١٩٨٤م – ج/٨ ص/١٧٦ – ١٧٧) .

السادس : تجنب تكلف السجع وقد فسر به البعض الاعتداء في الدعاء ، واختياره جوامع الكلم مثل : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٠١) .

وقد كان النبي ﷺ يحب جوامع الدعاء ويدع ما سوى ذلك ، فقد روى ابن ماجة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال أي الدعاء أفضل ؟ قال رسول الله ﷺ : "سل ربك العافية" ثم أتاه في اليوم الثاني والثالث وسأله ذلك السؤال فأجيب بذلك الجواب ثم قال ﷺ : "فإذا أعطيت العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت" .

واعلم – أخي القارئ أن خير الدعاء ما كان نابعاً من القلب معبراً عن حاجة صاحبه بصدق وإخلاص ، لذلك قال بعضهم : أدع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

السابع : اختيار الأمكنة الشريفة – التي يستجاب فيها الدعاء – بإذن الله – فإذا كنت في مكة المكرمة فلا تدع الفرصة الخيرة تفلت منك ، فعليك بملازمة المسجد الحرام ، وحول الكعبة المشرفة وعند الملتزم – وما أدراك ما الملتزم وهو المكان الذي بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، حيث يكثر عليه الزحام الشديد بين ركنين ، أي بين الركن اليماني وركن الحجر الأسود وأفضل دعاء يقال هنا ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وعند مقام إبراهيم ، وتحت ميزاب الكعبة وعند الصفا والمروة ، وفي عرفات وعند المشعر الحرام وعند شربك من ماء زمزم .

أما إذا كنت في طيبة الطيبة مدينة رسول الله ﷺ ، فعليك بمسجده الشريف وعليك بالروضة بين القبر الشريف والمنبر ولله در القائل .

إذا قمت ما بين قبر ومنبر بطيبة فاعلم أن منزلك الأرقى
لقد قمت في دار النعيم بروضة ومن قام في دار النعيم فلا يشقى

أجل .. كلها أماكن مباركة يستجاب فيها الدعاء إن شاء الله تعالى ، وإليك هذه القصة :

وهي قصة أعرابي وفد إلى طيبة المباركة ووقف في الروضة الشريفة يسأل الله خاشعاً ويقول : اللهم أنا عبدك والشيطان عدوك ورسول الله ﷺ حبيبك فإن غفرت لي فاز عبدك واغتاظ عدوك وفرح حبيبك ، وأنت أكرم

من أن تهلك عبدك وتفرح قلب عدوك الشيطان وتحزن قلب حبيبك المصطفى ﷺ ، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره إماءً وعبيداً ، وهذا سيد وخاتم النبيين محمد ﷺ اعتقني على قبره من النار ثم قال :

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وكان في الروضة آنذاك الإمام العتبى يسمعه وقد سربه وأخذته سنة من النوم فرأى رسول الله ﷺ يقول : "يا عتبى بشر الأعرابي بشفاعتي يوم القيامة" .

فخرج الإمام العتبى من المسجد حتى وجده فبشره بذلك .

الثامن : تكرار الدعاء ثلاثاً وعدم استبطاء الإجابة فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت فلم يستجب لي" (أخرجه البخاري ومسلم) .

التاسع : أن يستفتح الدعاء بحمد الله تعالى لاوتمجيده والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ والدعاء بغير اثم أو قطعية رحم ، وأن يبدأ بنفسه حين يدعو لغيره وأن يختم دعاءه بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ ثم يمسح وجهه بيديه ، وأعلم أخي القارئ أن هناك دعوات مستجابة مثل : دعوة الوالد على ولده أوله ، ودعوة المسافر ودعوة المظلوم ، فقد روى أحمد وأبو داؤد والترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ قال : "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن ، دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم" وروى الترمذي بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال : "ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تعالى : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين" .

كما أن من أفضل الدعاء دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب ، فعن صفوان بن عبد الله قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله ، فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت : أتريد الحج العام ؟ قلت : نعم قالت : فادع لنا بخير فإن النبي ﷺ يقول "دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك : آمين ولك بمثل" قال فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك عن النبي ﷺ" تأمل

كيف يبين رسول الله ﷺ سرعة إجابة دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب حتى يحرص كل منا على الدعاء لأخيه لأنه في الحقيقة إنما يحرص على الخير لنفسه ، فقد روى أبوداود والترمذي أن النبي ﷺ قال : "أسرع الدعاء إجابة دعوة الغائب للغائب" .

أي ربنا ما أكرمك وما أعظمك ، فإنك تؤلف بين قلوب عبادك هذه الإجابة فلك الحمد كل الحمد في كل حال ، ويروي أبو داود والترمذي أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال : "لا تنسنا من دعائك"

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا" ، وهكذا يحرص الإسلام على توثيق عرى الأخوة والمودة يبين أهله ويبين رسول الإسلام للناس جميعاً أن لا عيب في أن يطلب كبير فاضل من صغير مفضول فإن قلوب العباد هي محل نظر رب العباد جل جلاله .

العاشر : وقد أخرناه لأنه أهمها وهو أصل في الإجابة وهو : التوبة ورد المظالم إلى أهلها وبراء الذمة من حقوق الآخرين فإن الله تبارك وتعالى قد يتسامح في حقه ولا يتسامح في حقوق العباد إلا إذا ردت إلى أصحابها أو تنازلوا عنها راضين غير مكرهين .

وتبقى نقطة للمحاكمة وهي :

قد يقول قائل : ما فائدة الدعاء إذا كان القضاء لا مرد له من الله ؟

ولله در الإمام الغزالي حجة الإسلام الذي أجاب عن هذا السؤال بقوله : فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء ، وليس من شرط القضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ (سورة النساء الآية/١٠٢) .

فقدر الله تعالى الأمر وقدر سببه .

وبعد .. فهذه أخي القارئ وكلمات عن الدعاء في شهر الدعاء فإن انتفعت بشيئ منها فلا تنس كاتبها من دعائك وآخر دعوانا ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آمين) .

تنصير المسلمين

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية)

إن المسلم يجب أن لا يدب إليه اليأس ، عند ما يرى أعداء دين الله ، وما يبذلون من جهد ومال وتخطيط ، في سبيل التصدي لدين الله الحق – الإسلام – والرغبة في صرف من تيسر لهم عن هذا الدين ، إلى الإلحاد والنصرانية ، فقد اعترفوا بأنه لم يطاوعهم إلا الأطفال أو الجهال بالإسلام ، أو ذوي العاهات الذين لا يعينونهم إلا بشرط الدخول في النصرانية ، ومتى تأخروا في الاستجابة قطعوا عنهم : العلاج أو الدواء والإعانة "فالمسلم العارف لدينه لا نخاف عليه الانقياد لهم مهما حاولوا .

فقد سئل رسول الله ﷺ : هل يرجع المسلم إلى الكفر ؟ فقال : "لا إلا أن يرجع اللبن في الضرع" .

والأزمات التي عملوها مؤخراً ، والأساليب والضغوط ، ما زادت المسلمين : قيادة وأفرادا ، إلا تمسكا بدينهم ، واهتماما بتعاليمه : دراسة وفهماً وتطبيقاً ، وما حصل في بلاد الشام مع الصليبيين الذين طردهم صلاح الدين ، بعد ما فشلوا في التنصير والاحتلال نموذج لذلك بل إن الكتاب الإسلامي قد انتشر في ديار الغرب ، وأصبح هو الأكثر رواجاً ورغبة لدى الجماهير ، الذين ساقهم حب الاستطلاع إلى الرغبة في هذا الدين الذي أرهب الغرب ، وأقضّ مضاجع رجال الكنيسة .

إن الإسلام هو دين الله الباقي ، وهو الخالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما انحسر ظله في مكان إلا ارتفع في مكان آخر ، وما قصر قوم في أي موقع من الأرض ، على مر التاريخ ، إلا هيأ الله له من يرفع رايته في موقع آخر ، تحقيقاً لقول الله سبحانه : ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمد الآية/٣٨) .

ففي الوقت الذي تكالبت فيه النصرانية بالأندلس ، بسبب تخاذل المسلمين ، والعداوات فيما بينهم ، وتعاون بعضهم مع النصارى ضدّ إخوانهم المسلمين ، فتح الله للمسلمين نصراً كبيراً في المشرق ، حيث فتح محمد الخامس القسطنطينية اسطامبول" ، وجعلها قاعدة للخلافة الإسلامية وسماها : أسلام بول .. أي مدينة الإسلام ، وانحسر من ذلك الوقت ظل

الرومان من قارة آسيا كلها ، حيث انتقلوا لأوربا .

والمستعمر عند ما دخل ديار المسلمين ، أراد في كل مكان أن يحولهم للنصرانية ، وبذل في هذا السبيل أساليب عديدة ، قوة وإغراء وكذبا ، لكن جهودهم باءت بالفشل ، وما ازداد المسلمون إلا تمسكاً بدينهم ، وثباتاً عليه ، نموذج ذلك الجزائر التي فشلت محاولات ١٥٠ عاماً لتنصيرهم ، وقد ترجم أخيراً كتاب عن الفرنسية للغة العربية عن تاريخ مدينة "تيزي وزو" ، الذي بان فيه : أن الإسلام هو الأساس ، الذي وحد الجزائريين مع أبناء القبائل ، حيث تضاعفت جهود رجال الكنيسة المصاحبين للجيش الفرنسي الذي أغلق مدارس تحفيظ القرآن ، وحارب التعليم بالعربية ، وسعى لإلغاء التشريع الإسلامي ، وبالرغم من الحيل التي استخدمها المنصرون : من خدمات اجتماعية وعلاجية وإغراءات مالية للفقر ، لكنهم لم يفلحوا في تنصير فرد واحد (ص/١٤٢) وباءت جهودهم بالخسران المبين (ص/١٩٠) ، بل إن المنصرين والقساوسة خافوا على أنفسهم أن يتحولوا هم أنفسهم إلى الإسلام ، فسارع كثير منهم إلى مغادرة الجزائر (ص/١٩٢) ، وينقل المؤلف عن أحد قادة الاحتلال قوله : لم يكن لدى السكان المحليين أي استعداد لتقبل المسيحية (ص/١٩٠) ، وهذا ليس خاصاً بالجزائر ، بل في كل بلد دخلها المستعمر ، ظانين أن قوتهم المادية تحول المسلمين عن دينهم .

بل إن المسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، يحس في قلبه بحلاوة ما بعدها حلاوة ، ولا يزعزعها ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ من في قلبه شيء مهما كان .

وعن المد الإسلامي الذي يزعج رجال التنصير : هذا الخبر الذي نشرته مجلة الدعوة في ٢٠/محرم ١٤٢٥هـ ، عن إسلام قسيس و ١٠٠ من أتباعه برواندا ، حيث كان في منطقة "نتينيو" ، عند ما استمع إلى محاضرة دينية باللغة المحلية في الساحات العامة ، وكان هذا القس يتابع هذه المحاضرات ، فأعلن إسلامه بعد مناقشة طويلة معه ، ولحظة نطقه بالشهادتين أسلم معه "١٠٠" شخص من أهالي منطقته ، وبسؤاله عن أسباب إسلامه قال : لم يكن اعتناقي للدين الإسلامي بالأمر المستغرب ، بالنسبة لي لأني كنت أشعر بأني مسلم ، لأن هناك أموراً كثيرة في النصرانية لم أكن مقتنعاً بها ، على الإطلاق ، وقد كانت نظرتي تتوافق مع ما وجدته في الإسلام .

وهذا فضل من الله ، لأن الهداية نور يقذفه الله في قلب من أراد الله له الهداية ، وليس للبشر قدرات في هداية أحد ولا في إضلال أحد ، يقول سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٥٦) .

فإذا كان المنصرون يعترفون : بأنه لم يدخل النصرانية ، إلا أحد ثلاثة : الأطفال الذين تعهدوهم من الصغر ، والفقراء الذين أعوزهم الفقر مع الجهل ، وذوو الحاجات كالمرضى وأصحاب العاهات ، الذين يمنون عليهم بالمساعدات والعلاج والدواء ، إلا بثمن وهو اتباع ملتهم ، وترك دينهم الإسلامي ثمناً لذلك .

فإننا نرى في هذه الأيام بالذات ، انجذاباً ، من صفوة المجتمعات الغربية إلى الإسلام ، إذ يندر أن تصافح عيناك ، صحيفة عربية تهتم بالأخبار الإسلامية ، إلا وتجد فيها خبراً عن أناس هداهم الله للإسلام ، فرغبوا فيه بقناعة ، وبفهم ووعي ، وهذا فيه رد علمي علي دراسات وتخطيط المنصرين ، الذين يتحمسون لباطلهم ويضعون رموزاً لأعمالهم باقتلاع المسلمين عموماً عن دينهم ، ويغيب عنهم أن التحول الديني من الإسلام إلى العقائد الأخرى ، ليس بالسهولة التي يتخيلونها .

أما من يتحول عن دينه ، فهذا يحكمه العقل والصناعة بعد هداية الله سبحانه وتوفيقه .

وهذا خبر نشرته مجلة المجتمع الكويتية ، في عدد ١٤ محرم ١٤٢٥هـ عن دعوة الإسلام التي تنتشر في كل مكان جاء فيه : قالت صحيفة "صنداي تايمز" اللندنية يوم الأحد الماضي ، أن "١٤" ألف بريطاني بعضهم من صفوة المجتمع ومن الطبقة المثقفة العليا قد اعتنقوا الإسلام .

وقد أجرى يحيى بيرت ، وهو ابن اللورد بيرت ، المدير العام السابق لهيئة الإذاعة البريطانية ، وقد اعتنق الإسلام ، استطلاعاً كشف فيه أن بعض من دخلوا في الإسلام ، هم من كبار ملاك الأراضي والأثرياء ومن المشاهير ونجوم المجتمع ، وهكذا أثبتت الأحداث أن الغارق في المادية لن يجد راحته وعلاج مشكلاته ، إلا في الإسلام ، وأن من أتيحت له المعرفة الحقيقية بالإسلام ، وما يوفره للنفس البشرية من أمان واطمئنان وسلام ، وللمجتمعات من كرامة وتقدير ، يدرك ذلك عن كثب بالتعرف على الإسلام من مصادره النقية الصافية ، لا من أكاذيب أعدائه ، ولذلك لا تستغرب تلك الحملات الشعواء لتشويه صورة الإسلام ، وصد الناس عنه ،

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ، فبقدر ما يمكرون ويدبرون يفتح الله للإسلام أبواباً ولا يبقى بيت إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل ، وأخبر ﷺ : "أن الله قد ينصر الإسلام بالرجل الفاجر" .

من حيل الأذكياء :

ذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه : الأذكياء ، أن أبا الحسن قال : حدثني أبي عن طالوب بن عباد الصيرفي ، قال : كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي ، وأحراسي يحرسونني ، وأبوابي مقفلة ، فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي – وابن الخياطة من اللصوص أصحاب الحيل العجيبة ، حيث أورد له قصصاً تنبئ عن حيله وذكائه – ومع هذا فهو لصٌ ظريف ، يقول : فانتبهت فزعاً ، فقلت : من أنت ؟ فقال : ابن الخياطة .

فتلفت خائفاً ، وطامعاً في أحد الحراس ليحميني منه فلما رآني التفت أيقن بخوفي : فقال يهدئني : لا تجزع قد قامرت الساعة بخمسمائة دينار وغلبت ، فأقرضني إياها .. لأردها إليك قريباً .

فأخرجت خمسمائة دينار فدفعتها إليه : فقال لي : ثم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت ، وإلا قتلتك .

قال : أنا والله أسمع صوت حراسي ، ولا أدري من حيث دخل ، ولا من أين خرج ، وكتمت الحديث خوفاً منه ، وما كان مني بعد ذلك إلا أن زدت في عدد الحرس ، ومضت ليال ، فإذا به قد أنبهني على تلك الصورة السابقة .

فقلت : مرحباً ما تريد ؟ قال : قد جئت لك بتلك الدنانير لتأخذها مني ، ولا أحب التأخير عليك ، فقلت : أنت في حل منها ، فإن أردت شيئاً آخر فخذ .

فقال : لا أريد منك شيئاً ، من نصح التجار ، شاركهم في أموالهم ، ولو كنت أريد أخذ مالك أو بعضه باللصوصية لفعلت ، ولكنك رئيس بلدك ، وما أريد أذيتك ، فإن ذلك يخرج عن الفتوة ، ولكن خذها ، فإن احتجت إلى شيء بعد ذلك ، أخذت منك ، ولا أعلم والله من أين دخل ، ولا من أين خرج ، وحراسي لم يفطنوا له .

فقلت له : إن عودك إلي أفزعني ، فأرجو ألا تأتي إلي في هذا الوقت في الليل ، ولكن إذا أردت شيئاً فتعال إلي نهاراً ، أو ابعث إلي رسولك ، وأعطيه ما تريد ولا تروعني .

قال : افعل ، وخذ دنانيرك التي أفرضتني فأخذت الدنانير منه وانصرف .

وكان رسوله يجئني في النهار بعد ذلك بعلامة تعرفني به فيأخذ ما يريد ويرده بعد مدة ، فما أنكر لي عنده شيئ ، إلى أن قبض عليه ، وأودع السجن وأثقل عليه في الحديد [٢٢٦] .

ملامح الإعجاز القرآني في التفسير البياني

بقلم :الدكتور جمال الدين الفاروقي
Wayanad - Kerala

المقدمة :

القرآن هو الكتاب المنزل على النبي محمد ﷺ لهداية الناس جميعاً ، عربهم وعجمهم وأبيضهم وأسودهم وحاضرهم وباديهم ، وكان من سنة الله تعالى أن يبقى هذا الكتاب ما دامت السماوات والأرض حتى يستطيع آخر إنسان يعيش على وجه الأرض التعرف بدين الله ، والاهتداء إلى الصحيح الصالح الذي فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، والنبي ﷺ عاش ٢٣ سنة نموذجاً حياً لتعليم القرآن ونجح في تربية أصحابه وتثقيفهم حتى صاروا أحسن أمم في تلك القرون ، وقد قدموا للعالم رصيداً فكرياً في العلوم والثقافة والحضارة ، استمدوه من ضمن آيات القرآن وأحكامه .

ومن مزايا الكتاب المنزل أنه يحتوي على عناصر كثيرة للدلالة على إعجازه الذي يطمئن إليه المؤمنون ويزيدهم إيماناً ، ويتأثر به المتشككون ويقنعهم بعظمته وقدسيته ، وهذا بفضل الإعجاز الذي يتمثل في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه ، وعلى هذا الأساس توجه المسلمون الأول بدراساتهم وبحوثهم نحو القرآن ، ومن ثم ظهرت أنواع مختلفة من التفاسير ، ومنها التفسير المأثور الذي أولى الاهتمام بما ورد من النصوص المعتمدة ، فيتم التفسير على ضوئها ، ومن هذا القبيل معالم التنزيل للعلامة محمد البغوي المتوفى سنة (م ٥١٦هـ) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٧٤م) والدرر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي (م ٩١١هـ) والنوع الثاني هو التفسير بالرأي الذي هو عبارة عن تفسير الآيات مستخدماً الأدلة العقلية بجانب الأدلة النقلية ، ويأتي في هذا المضمار أعمال الإمام الرازي (م ٦٠٦هـ) وتفسيره مفاتيح الغيب ، والإمام النيسابوري (٧٢٨هـ) صاحب تفسير غرائب التنزيل ، وهناك بعض المفسرين سلكوا في تفسيرهم المسلك الفقهي ، حرصاً منهم على إبراز الجوانب الفقهية من الآيات باعتبار أنها أقوى علاقة بهيكل العبادات الدينية ، ومن هذا القبيل تفسير الجامع لأحكام القرآن

للإمام القرطبي (م٦٧١هـ) وأحكام القرآن لابن العربي (١٢٠٠) وكلاهما حسب اتجاهات المذهب المالكي ، وتفسير أحكام القرآن للإمام الجصاص (٩٨١هـ) ، وهو يمثل المذهب الحنفي ، كما أن تفسير الإمام ابن الجوزي تتمثل فيه الاتجاهات الحنبلية ، ونوع آخر في المجال هو التفسير الصوفي الذي يأتي تجسيداً للطرائف واللطائف القرآنية التي يتوقف فهمها على المعنى الباطني للآيات كما يزعم أصحابها ، ويعرف أيضاً بالتفسير الإشاري ، ومن هذا القبيل تم تأليف عدد من التفاسير ومنها التفسير التستري لصاحبه سهل بن عبد الله التستري (م ٢٨٣هـ) وحقائق التفسير الذي كتبه أبو عبد الرحمن السلمي (١٠٢١) ولطائف الإشارة الذي قام به أبو القاسم العشيري (١٠٧٢) وللشيعة تفاسير متداولة بينهم تعرف بالتفسير الشيعي الهادف إلى دعم أفكارهم وترويج مبادئهم ، ومن رجالهم أبو جعفر الطوسي ، (١٠٦٧) الذي ألف تفسير التبيان وأبو الفضل الطبرسي (١١٥٣) صاحب تفسير مجمع البيان وملا فيض الكشاني (١١٧٧) وتفسيره الصافي .

وفي العصر الحديث ظهرت بين المفسرين نزعة علمية في تفسير الآيات على ضوء ما يتم اكتشافه ، وقد اشتهر على جوهري الطنطاوي (١٩٤٠هـ) في هذا المضمار بعمله جواهر القرآن ، كما تأثر عدد منهم بالاتجاهات الاجتماعية والأفكار الإصلاحية ، ومن أعلام هذا المجال السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار والسيد قطب صاحب تفسير "في ظلال القرآن" .

التفسير البياني :

أما التفسير البياني نحن بصدده الآن ، فهو يتوقف على إبراز الجمال البياني الذي يتمثل في نظم الآيات وإدراك وجوه التناسق بين الألفاظ والكلمات ، وقد انجذب إلى جماله البياني حتى المنكرون في عهد البعثة المحمدية ، يدل عليه ما عبر عنه الوليد بن المغيرة حين سمع النبي ﷺ يتلو القرآن وهو يقول : "والله إن له لحلاوة إن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر" (١) وقصة إسلام عمر رضي الله عنه تبقى

(١) تفسير ابن كثير الجزء الرابع ص/٤٣٠ .

هي الأخرى دلالة على الجمال البياني للقرآن ، والصحابي الشهير مصعب بن عمير الذي أسلم على يديه الكثير من الأنصار بالمدينة قبل أن يتوافد إليها المسلمون مع نبيهم ، وهو يقول عن مدى تأثرهم ببيانه الفاتن : "فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن" (٢) ، والنثر القرآني المسجع وعرضه البارع لا يضاهيه كتاب ولا تأليف ، وهو بذلك ما زال ولا يزال مظهراً للإعجاز الإلهي الذي وجم أمامه العرب القدماء وهم زعماء الأدب وأمراء البيان ، وقد حاول بعضهم أن يأتوا بمثله ، إلا أنهم ما بلغوا معشار عشره من حيث الفصاحة والبلاغة ، وإلى هذه الحقيقة يشير العلامة السيد قطب بقوله : "كيف استحوذ القرآن على العرب ، وكيف اجتمعوا على الإقرار بسحره" (٣) ؟ ثم هو بنفسه يجيب على هذا السؤال قائلاً : إن السحر القرآني الذي ينبثق من صميم النسق القرآني هو الذي جعله يستحوذ على العرب ، والتحدية الإلهية المتمثلة في الآية : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة يونس الآية/٣٨) تبقى تحديةً على حالها بدون إجابة إلى الآن وإلى الأبد ، وانطباعات المفكر الأوروبي الشهير غوتي (Goethe) تبلور مدى تأثير الكتاب المنزل حتى في قلوب المنكرين والجاهدين ، وهو يقول : حين يتصدى واحد لدراسة القرآن فإنه ينفر منه في أول أمره ، إلا أنه لا يلبث أن يتأثر به ، ثم نرى هذا الكتاب يحيره أيما تحير ، وفي نهاية المطاف إنه يغلب عليه" ، ومن جهة أخرى إن التفسير البياني يتوقف إلى حد كبير على الثروة اللفظية للغة العربية التي قد بلغت أوجها من الرقي والازدهار وقت نزول القرآن ، وذلك بعد تداولها جيلاً عن جيلٍ ، واللغة العربية التي جاء بها القرآن لا تخضع تماماً للترجمة إلى أيّ لغة في العالم ، إذ لا يوجد بين اللغات المحلية والعالمية ما يحمل معناه مستلهما لروحه ومستوعباً لعظمته ، وجميع الترجمات القرآنية الموجودة في مختلف اللغات لديناً تنم عن هذا القصور البشري ، والله غالب على أمره .

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ص/٨٦٩ .

(٣) التصوير الفني في القرآن الكريم – سيد قطب ، ص/١٧ .

وقد تصدى الكثير من المفسرين منذ القدم للوقوف على جوانبه البيانية ، وف طليعتهم أبو عبيدة (٢١٠) صاحب كتاب مجاز القرآن ، وقد أشار إلى مجال عمل هذا التفسير قائلاً : هو الحس اللغوي والإدراك النقدي لطبيعة المعنى ، والإحاطة بتاريخ العرب علوماً وشعراً ، والتوسع في مفهوم النحو ، والإمام الجاحظ (٢٢٥) الذي كتب نظم القرآن شخصية بارزة بهذا الخصوص ، وكتاب تأويل مشكل القرآن لصاحبه ابن قتيبه عمل قيم كذلك ، وجاء أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨) بعمله الجليل ، النكت في إعجاز القرآن ، وكتاب دلائل الإعجاز للعالم الكبير عبد القادر الجرجاني مشهور في التفسير البياني ، وقد قطع الإمام الزمخشري (٥٣٨) شوطاً كبيراً في هذا المضمار بعمله القيم "الكشاف" وكذلك ابن عطية الأندلسي بعمله "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ، والعلامة أبو الحيان (٧٤٥) الذي ألف البحر المحيط والإمام النسفي (١٣١٠) صاحب مدارك التأويل والعلامة البيضاوي صاحب التفسير البيضاوي – كلهم أعلام بارزون في هذا المجال .

ومن المتأخرين في هذا المجال : الأستاذة عائشة عبد الرحمن الملقبة باسم بنت الشاطئ وعملها : التفسير البياني للقرآن الكريم ، وكذلك أستاذها الشيخ أمين الخولي ، والمفسر الهندي المشهور العلامة حميد الدين الفراهي صاحب تفسير نظام القرآن والأستاذ أمين أحسن الإصلاحي صاحب كتاب تدبر قرآن (أردية) ، ومنهم الدكتور محمد رجب البيومي صاحب خطوات التفسير البياني ، وبرافقه في مسيرته الدكتور حفني محمد شرف صاحب كتاب إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق ، والشيخ محمد متولى الشعراوي له كتاب "من نبض الرحمن في معجزة القرآن" .

ومن الجدير بالمناسبة بذكر ما أشارت إليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى موضوعية التفسير البياني وأهمية النهوض به من قبل الباحثين والعلماء وهي تقول : "لكل لغة روائع من آدابها تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل والمثل الرفيعة لفنها القولي ، وقد عبرت الأجيال منا تتجه إلى نصوص مختاره من شعر العربية ونثرها ، ونحن أصحاب الدرس الأدبي شغلت الجمهرة منا بالمعلقات والنقائض والمفضليات ، ومشهور الخمريات

والحماسيات والمراثي والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات شغلنا بهذا ومثله عن القرآن الكريم ، الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ، ومعجزتها البيانية الخالدة" (٤)

ويشير العلامة حميد الدين الفراهي بهذا الصدد إلى ضرورة وجود عمود رئيسي لكل سورة يبنى عليه معاني كل آياتها ، وهو الركيزة الأساسية للاطلاع على الترابط المعنوي وهو يقول : "العمود هو الشيء الجامع الذي رباط السورة بأسرها وهو أهم الأمور بياناً"(٥) وكان يقول بضرورية بناء هيكل البلاغة العربية على أساس ما ورد من روائع البيان في الآيات القرآنية ، وكان له أسلوب خاص في تفسير القرآن ، وكان يتدبر في القرآن متحرراً من الروايات التفسيرية والإسرائيليات ، ويؤكد على ربط الآيات ونظم القرآن بوجه خاص ، وكان يعتقد بأنه لا يمكن أن يكون كلام الله خالياً عن النظم والترتيب ، ويعتمد في تحقيق المفردات ، وتأويل الآيات على القرآن نفسه ، وبعد ذلك على الأدب العربي ، وخاصة على الأدب الجاهلي .

والتفسير البياني إذاً عبارة عن اتجاه خاص يهدف إلى فهم إعجاز القرآن وإيضاح نواحيه البلاغية بعيداً عن شطط التأويل والأقاويل ، كما يستهدف تذوق أسرار البيان بالنظر الدقيق لمدلولات ألفاظ القرآن وعلى أساس التدبر الشامل للنظم القرآني الذي تلمح في خلاله المعجزة البيانية الخالدة ، وينبغي إدراك وجوه التناسق والتشابه بين كلمات القرآن وألفاظه ومدى توازنها وترتيبها ومدى مناسبتها بما سبقها وما لحقها من الآيات ، والمفسرون من هذا القبيل تعرضوا بدراساتهم لمختلف جوانب البيان والإبداع التي تضمنها القرآن ومنهم من وقف على إعجازه البياني من حيث علم النحو والدلالة ومنهم من نظر إليه من حيث علم الأصوات وآخرون فسروه من حيث روعته الإبداعية ، وقد أشبع القرآن رغبات هؤلاء وأولئك .

بعض ملامح التفسير البياني :

وتتمثل هذه الرائعة في تركيب كلمات آياتها ووضعها في مكانها

(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم د/عائشة عبد الرحمن ١/١٣

(٥) رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن – الدائرة الحميدية ، ص/٨٧ .

اللائق ، والكلمات هي اللبنات الأساسية في بناء اللغة ، وهي تمنح المؤلف القوة والجمال ، ومجرد الخيال لا يغني عن المبدع كما لا تنفعه أفكاره ورؤاه إذا كان ضعيفاً في اختيار الكلمات ذات الرنين ، بل وأكثر من ذلك تحتل قدرة التعبير الطلق الصدارة في تقويم الأعمال الإبداعية ، والاختيار الإلهي لكلمات القرآن ينبغي أن نستعرضه من هذا المنطق ، وهو لم يكن مجرد كتاب أدبي – بل هو كله أدب ، لا يبلغ أدب الأدباء مبلغه من الحسن والجودة والجمال والتأثير ، ولو بدلنا كلمة مكان كلمة ليختل النظام القرآني ويتدهور نغمه الموسيقي ، وعلى سبيل المثال : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ❖ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ❖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (سورة المدثر الآيات/٤٩ – ٥١) ، وكلمة قسورة في الآية جاءت لمعنى الأسد ، ولو وضعنا الثانية مكان الأولى علماً بأنها أقرب إلى الأفهام ، إلا أن التوازن بين الآيات يفسد ، وتفقد الآية روعتها وجمالها ، كما أن تركيب هذه الكلمات يعرض أهوال الحمر التي تحاول التخلص من قبضة الأسود ، وكل كلمات تلمع في السياق القرآني كما تلمع النجوم ، هذا بفضل مناسبتها ووضعها في مكانها اللائق .

وكذلك التناسق والترتيب بين الكلمات : (السمع والأبصار والأفئدة) ورد ذكرها في سياق النعم الإلهية التي يتنعم بها كل إنسان ، والآية الواردة فيها هذه الكلمات تبقى أوسع مجالاً للجمال البياني من حيث اللغة والعلوم ، والله ذكر السمع في كل هذه الآيات في أولها ، علماً بأن حاسة السمع هي التي تعمل أولاً في الطفل الجنين ، ولا يعمل العقل والفكر إلا بعد فترة من ميلاده ، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الجنين يستطيع أن يحس الأصوات الخارجية ، كما أنها وردت مفردة ، وفي ذلك أيضاً سر من أسرار الخلق الإلهي ، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يسمع أكثر من صوت واحد في الوقت الواحد ، بينما يستطيع أن يرى أشياء كثيرة بلمح البصر ، والفؤاد هو الآخر يحتوي على مختلف العواطف والشعور مما جاءت هاتان الكلمتان جمعاً .

كلمات تنطق بمعانيها :

وكذلك حتمية المعنى لبعض الكلمات القرآنية ، قد لا يوجد

مثيلها في اللغة ، مثل كلمات كلمة المطر والغيث ، الأولى وردت في القرآن للدلالة على العذاب والأذى ، أما إذا كان يريد به السقيا فإنه الغيث في البيان القرآني الجوع والسغابة كلتاهما لمعنى واحد ، إلا أن الأولى جاءت في القرآن للإشارة إلى العذاب ، ومن هذا القبيل : كلمة اللب والعقل ، وكلاهما متقاربان ومترادفان في اللغة ، إلا أن الأولى في السياق القرآني تدل على العقل الصافي المصدق لآيات الله والمنيب إليه في جوف الليل وبياض النهار ، بينما مجرد العقل يشوبه كفر وتشكك وإنكار ، وليس كل عقل لباً ، بينما يكون كل لب عقلاً ، وفي معرض كلامه عن كلمتي جحد وأنكر يقول الإمام أبو هلال العسكري (٣٩٥) : إن الأول (جحود) هو إنكار الظاهر الثاني إنكار ما ظهر منه وما بطن .

ومن حتمية المعنوية لألفاظ القرآن الكريم أمثلة أخرى ، مثلاً : كلمة "لعلكم" ، وقد حمل علماء اللغة "لعل" لمعنى الترجي ، إلا أنه في السياق القرآني خاص لمعنى (كي) إلا في مكان واحد في سورة الشعراء حيث يقول الله تعالى : وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وجاءت الكلمة فيها لمعنى كأن ، ووضع الكلمة موضعها الدقيق يتمثل كذلك في الآية الكريمة حيث يقول تعالى : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ (سورة التحريم الآية/٥) ، الأوصاف الستة المشار إليها في الآية يمكن وجودها في المرأة في وقت واحد ، بينما الصفتان الأخيرتان (ثيبات وأبكاراً) لا تجتمع فيها في آن واحد ، ولذلك فرق الله بينها بالواو ، وإذا حذفت الواو منها أدى إلى ضعف التأليف والتباس المعاني .

وكلمة (الأحلام والرؤيا) لا يوجد كبير فرق في الاستعمال اللغوي العادي ، إلا أن القرآن وضعهما لمفهوم دقيق محدد ، إذ الأولى ما وردت إلا للأحلام الكاذبة والباطلة ، أما الثانية فهي خاصة لما يراه النائم في منامه والذي له تعبير صادق ، وكذلك الألفاظ مثل : أنس – أبصر ، حلف – أقسم ، تصدع – حطم – خشوع – خشية ، زوج – مرأة ، إنس – إنسان ، نعمة – نعيم ، كل هذا في غالب الأحيان يستعمل في اللغة مثل الكلمات المترادفة ، إلا أن لكل واحد منها مفهوماً دقيقاً في السياق القرآني ،

والأستاذة عائشة عبد الرحمن خصصت بحثاً مفصلاً في هذا الباب .

هذا إلى جانب كلمات أخر تنطق بذاتها المقصود منها ، ويمكن الدارس بمجرد الوقوف على مدارج تلك الكلمات إدراك المعاني ، ومن هذا القبيل الآية الكريمة : ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾ (سورة النساء الآية/٧٢) ، فكلمة (يبطئن) تجسد النزعة السلبية التي تكتنف أصحابها حين ينادون إلى الزحف في سبيل الله ، ولا توجد كلمة أخرى يكون أنسب لهذا السياق وأكثر أداءً للمعنى المقصود ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (سورة فاطر الآية/٣٧) ، فكلمة يصطرخون تؤدي بمجرد سماعها المعنى المقصود منها تماماً ، وهي تعبر عن شدة العويل والزفير والشهيق التي سيعيشها الكفار يوم القيامة .

وانظروا إلى وصف أهوال المحتضر الذي يكون على وشك الفراق : ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ❖ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ❖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ❖ وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ ❖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (سورة القيامة الآيات/٢٦ – ٢٩) ، والكلمات فيها تذكرنا أهوال المحتضر الذي يكاد يلفظ النفس الأخير ، ومثل هذا كثير ، ورد ذكرها في مؤلفات الأستاذ سيد قطب ، والكتاب المنزل في كل هذه الكلمات ، يفتح أمام الإنسان أفقاً واسعاً لخياله وموهبته وإبداعه ، وكلما يستخدم نتائج العمل الإبداعي والخيالي في حدوده المسموح فإنه يساعد الباحث على الاطلاع على ما يخفى من المعاني فيتم هناك التذوق القرآني .

كما تلمح روعة البيان المعنوي في قوله تعالى عن الإحسان إلى الوالدين ، جاء ذلك في غاية البلاغة في سورة الإسراء حيث يقول تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (سورة الإسراء الآية/٢٤) ، إن قضية الإحسان إلى الوالدين تأتي في المرتبة الثانية بعد إخلاص العبادة لله ، ولا يخفى على أحد أهميته ، وقد تختلف وسائل الإحسان ومقتضياته من والد لآخر ، إلا أن هذا السياق القرآني يوضح مدى أسلوب الإحسان وعمقه ويبين دور الأولاد في تهيئة ذلك الجو أمام الوالدات جين يطعنون في السن ، لكي يجدوا من الحنان والحنو

لدى أولادهم ما يمكنهم يعيشون بدون معاناة ، وبعبارة أخرى يجب على الأولاد أن يتيحوا لهم الفرصة للشعور بهذا الحنان مثلما تجد الأفراخ بين جناحي الدجاجة الأم ، وهي تدفئهم وتحصنهم وتضمن لهم أسباب الأمن والأمان ، بين هذا كله على طريق الاستعارة المرشحة .

التوازن العددي :

وفي صدد ذكر بعض الكلمات يوجد تمام الانسجام بينهما من حيث الواقع والوظيفة ، وقد اكتشف الباحثون وجوه التوازن العددي بين الكلمات القرآنية الخاصة ، للدلالة على الواقع الذي تجسده أو لإيضاح وجوه التساوي بين كلمة وأخرى ، ومن هذا القبيل كلمات : الشهر واليوم ، جاءت الأولى اثنتي عشرة مرة والثانية ثلاثمائة وخمساً وستين مرة ، مطابقاً للنظام الكوني لتحديد السنة ، الحياة مقابلها الموت ، كل واحد منهما ورد ١٤٥ مرة للدلالة على ضرورية الاهتمام بالموت وما بعده كما يهتم الإنسان بأمور حياته ، وكذلك كلمة الزكاة والبركة كلتاهما وردت ٣٢ مرة ، وسر ذكر الزكاة مصحوبة بالبركة واضح ، إذ لا توجد البركة حين تنعدم الزكاة .

والتفسير البياني الذي يكشف النواحي البلاغية والنكت الإبداعية لآيات القرآن لكفيل بتوكيد قدسية القرآن وعظمته ، وأنه ما جاء الباطل بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

المراجع :

١- د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر .
٢- الشيخ محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن .
٣- د/عائشة عبد الرحمن : التفسير البياني للقرآن الكريم .
٤- العلامة عبد الحميد الفراهي : نظام القرآن .
٥- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن الكريم
٦- رسائل الإمام الفراهي لعلوم القرآن .

❖❖❖

الإسلام في اليابان

التاريخ والانتشار والمؤسسات القائمة هناك

(الحلقة الأولى)

بقلم :الدكتور صالح مهدي السامرائي
رئيس المركز الإسلامي في اليابان
salihsamarrai@hotmail.com

المقدمة :

انبثق نور الإسلام من الجزيرة العربية وامتد شرقاً إلى العراق وإيران وأفغانستان وشبه جزيرة القارة الهندية ثم ماليزيا وإندونيسيا ، وحتى الصين والفلبين ، واستغرق هذا الانتشار زماناً وامتد مكاناً وتأخر وصول الإسلام إلى اليابان إلى أواخر القرن التاسع عشر ، ويعبر اليابانيون مسلمهم وغير مسلمهم عن أسفهم واستغرابهم من التأخير في الوقت الذي وصل فيه الإسلام الصين والفلبين ، وعلى أي حال وبقدر من الله سبحانه وتعالى حدث الذي حدث ، وإنني بهذه الورقة آثرت أن أعرض الوجود الإسلامي زمنياً Chronology وحددت محطات وأرخت لكل فترة ما تيسر من معلومات عاشرت الأربعين سنة الأخيرة منها وتتبعت المراحل التي قبلها بالبحث والتنقيب لفترة زادت على الثلاثين سنة ، ولا أدعي الإحاطة ، وكل إنسان يرى التاريخ يبدأ من عند نفسه ، وحين تتعدد الكتابات والمصادر ، فإن الصورة قد تصل إلى ما هو أقرب إلى الكمال ، وها إني أدلي ببضاعتي معتذراً إن كان لحظ النفس فيها شيئاً ، وهو غير مقصود فتجارة الدنيا تمحق بركتها إن لم يصاحبها الصدق والإخلاص ، فكيف بالتجارة مع الله ، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وإني أسأل الله العفو والمغفرة وأرجو من إخواني الصفح .

مرحلة ما قبل ١٩٠٠م :

في بداية عصر النهضة اليابانية ويدعى "عصر ميجي" "MEIJI" والذي بدأ عام ١٨٦٨م كانت دولتان وحيدتان في آسيا هما اللتان تتمتعان

بالاستقلال ، وهما العثمانية واليابانية ، وكلاهما تواجهان ضغوطاً من الدول الغربية فحرص الجانبان على إقامة علاقات ودية بينهما وتم تبادل الزيارات وكانت أهمها البعثة التي أرسلها المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني إلى اليابان على الباخرة "آل طغرل" وعلى ظهرها أكثر من ستمائة ضابط وجندي عثماني (ترك وعرب وألبان وبوسنيون .... الخ) يقودهم الأميرال عثمان باشا وذلك عام ١٨٩٠. وبعد أن أدت البعثة مهمتها في اليابان وقابل رئيسها الإمبراطور عادت أدراجها إلا أنها وهي لا تزال على الشواطئ اليابانية ليس بعيداً عن أوساكا ، هب عليها إعصار شديد أدى إلى تحطمها واستشهد أكثر من خمسمائة وخمسين شخصاً بما فيهم أخو السلطان ومعهم عثمان باشا. هزت الحادثة الطرفين ونقل الناجون على باخرتين يابانيتين إلى إسطنبول ودفن الشهداء عند الموقع وعمل متحف بجانبهم ويحتفل اليابانيون والأتراك إلى يومنا هذا كل خمس سنوات بهذا الحادث في نفس الموقع رغم تبدل الحكومات ، وهذا دليل على إخلاص اليابانيين في صداقتهم .

بعد سنة من الحادث تصدى صحفي ياباني شاب (أوشاتارو نودا) لجمع تبرعات من اليابان لعوائل الشهداء وذهب إلى اسطنبول عام ١٨٩١ وسلم التبرعات للسلطات العثمانية وقابل السلطان عبد الحميد وأثناء إقامته في إسطنبول لقي أول مسلم إنجليزي وهو "عبد الله غليام" وهو من مدينة ليفربول ، وبعد التحادث معه ، قبل دين الإسلام وتسمى "عبد الحليم" كما تظهر الوثيقة العثمانية المرفقة (في آخر البحث) ويمكن اعتبار "عبد الحليم نودا" أول مسلم ياباني تبعه بعد ذلك يامادا الذي وصل إسطنبول عام ١٨٩٣ يحمل التبرعات لعوائل الشهداء وطلب منه السلطان عبد الحميد تدريس اللغة اليابانية للضباط العثمانيين واتخذ اسم خليل أو عبد الخليل ، فبذا يمكن اعتباره ثاني مسلم ياباني .

أما الشخص الثالث فهو أحمد أريجا Ahmad Ariga وكان مسيحياً يعمل في التجارة زار مدينة بومبي عام ١٩٠٠م ولفت نظره مسجد فيها فدخله وأسلم هناك وعاد داعية وشارك في أحد ترجمات القرآن الكريم لليابانية وفي هذه المرحلة سكن تجار مسلمون من الهند في كل من طوكيو

ويوكوهاما وكوبي ، وبهذا يعتبرون أول جالية إسلامية تقيم في اليابان .

العشرتان الأوليان من القرن العشرين (١٩٠٠ – ١٩٢٠م) :

زار اليابان مبعوث للسلطان عبد الحميد يدعى "محمد علي" في عام ١٩٠٢م وذكرت الوثائق أنه كان يخطط لإقامة مسجد في يوكوهاما ، كما زار اليابان الضابط برتو باشا مبعوث السلطان عبد الحميد لمراقبة الحرب اليابانية الروسية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) وأقام سنتين وقابل الإمبراطور وألف كتاباً من جزئين باللغة التركية ، وبعد الحرب اليابانية الروسية نشرت أنباء عالمية عن اهتمام اليابان بالإسلام والعالم الإسلامي ، مما حفز المسلمين في كل مكان على القيام بنشر الإسلام في اليابان ، فقد ذكر العقاد أن ضباطاً مصريين بهرتهم انتصارات اليابان على روسيا فتطوعوا في الجيش الياباني وتزوجوا يابانيات وخلفوا منهم من عاد إلى مصر منهم من بقي ، كما زار الداعية الهندي سر فراز حسين اليابان في أواخر عام ١٩٠٥م وأوائل ١٩٠٦م وألقى محاضرات عن الإسلام في ناغاساكي وطوكيو ، وأقيم أول مسجد في أوساكا للأسرى المسلمين الروس بعد الحرب التي ذكرناها وذلك عام ١٩٠٥م .

كما نشرت الأخبار في العالم الإسلامي أن مؤتمراً يعقد في طوكيو عام ١٩٠٦ يقارن فيه اليابانيون بين مختلف الأديان لاختيار الدين الصحيح هكذا وصلت الأخبار المبالغ فيها فتحمس المسلمون في كل مكان لحضور المؤتمر وذكر السيد على أحمد الجرجاوي وهو محام شرعي أزهري أنه ذهب لحضور المؤتمر ، وألف كتاباً عام ١٩٠٧م أسماه "الرحلة اليابانية" ادعى أنه ومعه داعية صيني يُدعى سليمان الصيني ، وروسي يدعى مخلص محمود وهندي اسمه حسين عبد المنعم، كونوا جمعية في طوكيو للدعوة الإسلامية وأسلم علي أيديهم اثنا عشر ألف ياباني ، وبعد سنتين أو ثلاث زار اليابان عبد الرشيد إبراهيم وهو رحالة وداعية مسلم من روسيا واستهجن هذا الادعاء ، واستهجن كذلك بادعاء الجرجاوي الداعية والمفكر الهندي محمد بركة الله الذي أقام في اليابان خمس سنوات ما بين ١٩٠٩ – ١٩١٤م وإن كاتب السطور منذ بضع سنوات يجري التحقيق : هل زار الجرجاوي اليابان أم لا ؟ ولم يتمكن من الحصول على أي دليل مادي

غير الكتاب الذي ألفه الجرجاوي .

وجاء الداعية عبد الرشيد إبراهيم الذي سبق ذكره إلى اليابان عام ١٩٠٩م وأقام ستة شهور، قابل فيها رجالات اليابان من الوزراء إلى الفلاحين وأسلم على يديه نخبة من المفكرين والصحفيين والضباط الشباب كما زار الصين وكوريا والهند والحجاز وألف كتاباً من ألف صفحة باللغة العثمانية ، أشرف كاتب هذه السطور على ترجمته ومراجعته وسيصدر قريباً إن شاء الله .

وعبد الرشيد رحالة وداعية وسياسي وأديب وعالم ، وقال عن كتابه المرحوم عبدالوهاب عزام : إنه أهم من كتاب ابن بطوطة كما روى ذلك الدكتور محمد رجب البيومي في مقالة له في مجلة الأزهر ، كما زار اليابان محمد بركة الله من بهوبال في الهند ، وهو أول من علم الأردية في جامعة اللغات الأجنبية في طوكيو وأصدر لثلاث سنوات مجلة "الأخوة الإسلامية" ISLAMIC FRATERNITY ما بين ١٩١٠ – ١٩١٢م ، وأسلم علي يديه عدد من اليابانيين ولم أحصل إلا على عددين من مجلته ولا أزال أفتش عنها لأنها تحمل براعم انتشار الإسلام في اليابان ، ومن الضباط الذين ذكرهم العقاد عرفت عن أحمد فضلي الذي أقام في اليابان وتزوج يابانية عام ١٩٠٨ ولقي عبد الرشيد إبراهيم وتعاون معه كما تعاون مع بركة الله لستة شهور في إصدار المجلة ثم تركه وألف فضلي كتاب "سر تقدم اليابان" عام ١٩١١عربية كما ترجم من اليابانية كتاب "النفس اليابانية" التي توضح الشخصية اليابانية وزار جامعة واسيدا بصحبة عبد الرشيد وترجم له محاضرة عن الإسلام بالجامعة لثلاث ساعات، وذكر عبد الرشيد أن في جامعة واسيدا حوالي الألف صيني من بينهم تسعة وثلاثون مسلماً وهم الذين أصدروا صحيفة إسلامية باللغة الصينية عنوانها "الإستيقاظ الإسلامي" هكذا كتبوا العنوان بالعربية ، كما أصدر حسن هاتانو الذي أسلم على يد بركة الله مجلة شهرية مصورة باللغة الإنجليزية أسماها أيضاً "الأخوة الإسلامية" واسمها بالإنجليزية Islamic Brotherhood ولم أعثر على أي عدد منها حتى الآن وذلك في عام ١٩١٨، كما أنه أصدر في عام ١٩١١ مجلة Islamباليابانية والإنجليزية ولم أعثر حتى الآن على أي عدد منها. وأدى الحج أول ياباني عام ١٩٠٩ عمر ياما أوكا فقد صاحب عبد الرشيد

إبراهيم إلى الديار المقدسة ثم إلى إسطنبول ، ونشرت مجلة العالم الإسلامي بالفرنسية عام ١٩١١ خبراً عن إسلام شخصين يابانيين مقيمين في الصين وعزمهما على نشر الإسلام في اليابان بعد عودتهما إلى بلدهما .

العشرينات/١٩٢٠ — ١٩٣٠ :

تمام اليابان بالعالم الإسلامي لأغراض متعددة، توسعية اقتصادية ثقافية ، كما تمت ترجمات لمعاني القرآن الكريم وشكلت الجمعيات وألفت الكتب الإسلامية الإستشراقية .

وبدأ المهاجرون من المسلمين التتار يفدون اليابان فراراً من الحكم الشيوعي في روسيا واستقر أكثرهم في طوكيو وناغويا وكوبي ، كما أدى ثاني مسلم ياباني فريضة الحج وهو المرحوم نور أبي تاناكاIPPEI TANAKA الذي أسلم في الصين ، كما أسلم في الصين المرحوم عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم ، زار عمر ياما أوكا مصر وذهب إلى الأزهر عام ١٩٢٤ وله صورة تذكارية بالزي الأزهري، يعلو وجهه النور وكأنه أحد علماء إندونيسيا وماليزيا .

الثلاثينات/١٩٣٠ — ١٩٤٠ :

برز اسم "عبد الحي قربان علي" كزعيم ديني للمسلمين التتار وأصدر مجلة باللغة التتارية "جابان مخبري" توزع في داخل اليابان وخارجه وأنشأ مطبعة بالحروف العربية طبع فيها الكتب الإسلامية باللغة التتارية وطبع القرآن الكريم الذي كان قد طبع في مدينة قازان قبل الحكم الشيوعي، وقوى علاقاته بالسلطات اليابانية مما دفعها لمساعدة المسلمين في بناء أول مسجد في طوكيو عام ١٩٣٨ والذي حضر افتتاحه المرحوم حافظ وهبة سفير المملكة في لندن مندوباً عن المرحوم الملك عبدالعزيز آل سعود وحضر سيف الإسلام الحسين من اليمن ومحمود فوزي قنصل مصر في اليابان والذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الجمهورية ، ولدى كاتب هذه السطور الكلمات التي ألقيت وترجمتها والصور التي أخذت بالمناسبة ، عاد ثانية إلى اليابان عام ١٩٣٣ الداعية عبد الرشيد إبراهيم وتعاون مع قربان علي في قيادة الجالية الإسلامية حيث أصبح الضباط الشباب الذين أسلموا على يديه في زيارته الأولى أصبحوا هم الذين

يتولون سياسة البلد .

كما جاءت شخصية هندية لامعة لليابان وهو "نور الحسن برلاس" الذي تولى كرسي اللغة الأردية في جامعة اللغات الأجنبية منذ عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٤٩ وكان له نشاط مع المسلمين وكتب الكثير عن الإسلام في اليابان باللغة الأردية ترجمها كاتب هذه السطور للعربية وقابلت ابنه في كراتشي عام ١٩٩٧ وأحفاده في كراتشي وإسلام آباد والرياض .

وزار اليابان كذلك الداعية العالم الهندي "عليم الله صديقي" وألقى محاضرات عن الإسلام في طوكيو وهو من أوائل الرحالة والدعاة العالميين الذين أنشأوا مراكز وزاروا أقطار الدنيا ، وترك أثراً في كل بلد ، وعندي خطابه الذي ألقاه في فندق الأوريون في جينزا GINZA بقلب طوكيو عام ١٩٣٦ عن مكانة المرأة في الإسلام. وقد أسس في هذه الفترة مسجد كوبي عام ١٩٣٥ من قبل المسلمين الهنود وساهم المرحوم فيروز بأكبر قسط من المال وقابلت ابنه في دلهي عام ١٩٩٥ وقبلت رأسه إحتراماً لوالده. كما بنى المسلمون التتار مسجداً في مدينة ناجويا بنفس الفترة.واهتمت اليابان بتركستان الشرقية (التي هي جزء من الصين) واستدعت زعماء المسلمين هناك والطلبة لليابان ومنهم أمين إسلامي الذي أصبح إماماً لمسجد طوكيو من ١٩٣٨ إلى ١٩٥٣ وهاجر بعدها للملكة في الطائف ثم جدة وعمل في الإذاعة ووزارة الحج وأبناؤه في جدة .

كما برز في هذه الفترة وأسلم المرحوم مصطفى كومورا وكان له دور مع مسلمي تركستان الشرقية ويونان في الصين وبعد الحرب شكل جمعيتين إسلاميتين معترف بهما رسمياً ، وبهذا يعتبر أشطر وأول اليابانيين المسلمين في التسجيل الرسمي والذي يعتبر أصعب شيء في اليابان وأرسل عشرات الطلبة إلى باكستان وملايزيا ثم المملكة، وشارك عمر ميتا في ترجمة معاني القرآن الكريم في مكة المكرمة وألف موسوعة ضخمة عن تاريخ الإسلام في اليابان باللغة اليابانية ترجمناها للإنجليزية وهي قيد الإعداد للطبع .

وفي هذه الفترة بدأ سيل من المسلمين اليابانيين الذهاب لأداء فريضة الحج في سنوات متتالية حظي أبرزهم المرحوم صالح سوزوكي بمقابلة

المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود حيث كان يعطي اهتماماً كبيراً للحجاج اليابانيين كما روى لي السيد العامودي الذي كان يعمل في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن السيد جابان أوغلو وهو عديل للسيد قربان علي زار المملكة وقابل المرحوم الملك فيصل في الطائف في وسط الثلاثينات وحدثه عن مسلمي اليابان وطلب من المملكة دعمهم .

وجاء اليابان التاجر اللبناني الأديب عبد الرحمن قليلات قادماً من البرازيل ومعه عائلته وله إسهامات مع المسلمين في اليابان كما سكنت اليابان عائلة الدبس وكبيرهم المرحوم عبد الهادي الدبس وهم تجار كبار من سوريا وإن ابن عمه السيد فؤاد الدبس، متعه الله بكامل الصحة والعافية الذي يقيم في كوبي وله ولآل الدبس ، أياد بيضاء في دعم الوجود الإسلامي في اليابان .

الأربعينات/ ١٩٤٠ – ١٩٥٠م :

وصل اليابان عام ١٩٤١ الشيخ عبد الله طوغاي مبعوث الأزهر إلى اليابان وبقى ستة أشهر فقط حيث عاد الى مصر بسبب انضمام مصر إلى الحلفاء ضد المحور أثناء الحرب العالمية الثانية وتعلم العربية عليه الأستاذ عمر هاياشي. ومع عبد الله طوغاي تواجد في اليابان محمد كامل طبارة تاجر الأسهم اللبناني وهو الذي فك الرموز والكتابات التي تمتلكها قبائل العَينو وهم سكان اليابان الأصليين.إن هذه الكتابات عجز عن فكها فطاحلة علوم الألسن والأجناس اليابانيون وأعلن طبارة ترجمتها في مؤتمر صحفي كبير في طوكيو عقد في حينه إطلعنا عليه في الوثائق التي وجدناها .

دخلت اليابان الحرب واحتلت أجزاء من آسيا ، وأحتك اليابانيون بمسلمي الصين وملايزيا واندونيسيا والفلبين وبورما وظهرت أسماء "عمر يوكيبا" متعه الله بوافر الصحة والعافية وهو موجود بالندوة هذه حيث أسلم في ملايزيا والمرحوم عبدالمنير واطانابا أسلم في إندونيسيا والمرحوم صادق إيمازومي والمرحوم فاروق ناغاسي وسودا وماتسوباياشي وغيرهم .

- توفي رائد الدعوة الإسلامية في اليابان عبد الرشيد إبراهيم عام ١٩٤٤ وهو دفين مقبرة المسلمين في "مقبرة تاما" بضواحي طوكيو .
- خسرت اليابان الحرب وعاد ثلاثة ملايين ياباني ، ومن بينهم الذين

أسلموا في آسيا .

- رجع نور الحسن برلاس عام ١٩٤٩ وباع طوابع قديمة ليقطع تذكرة له ولزوجته ليعود إلى باكستان ، وقابلت أنا ابنه عام ١٩٩٧ كما ذكرت ، في كراتشي ويبلغ من العمر ٨٢/عاماً وكان قد درس في يوكوهاما .

الخمسينات/ ١٩٥٠ – ١٩٦٠م :

- اجتمع المسلمون اليابانيون عمر ميتا صادق إيمازومي عبد المنير واطانابا عمر يوكيبا، عمر ياما أوك، مصطفى كومورا .. الخ ، وشكلوا أول جمعية للمسلمين اليابانيين عام ١٩٥٣ .
- بدأت طلائع جماعة الدعوة والتبليغ ترد اليابان من باكستان ما بين ١٩٥٦ – ١٩٦٠ فأول بعثة لهم كانت عام ١٩٥٦ (بقي شبير أحمد الوحيد من بينهم على قيد الحياة وقابلته قبل بضعة شهور في رايوند بلاهور).لقد زاروا اليابان أربع مرات، رافقتهم في المرة الرابعة عام ١٩٦٠.لقد أحيوا المسلمين القدماء بروح الدعوة (عمر ميتا ومصطفى كومورا) وأدخلوا جدداً في الإسلام عبد الكريم سايتو رحمه الله خالد كيبا (متعه الله بالصحة) والدكتور عمر كاواباتا وزكريا ناكاياما وعلي موري وأمين ياماموتو (والأربعة الآخرون رحمهم الله من أكبر الدعاة إلى الله في جزيرة شكوكو رابع جزيرة في اليابان وهم من جماعة خالد كيبا) كما أسلم على يد صادق إيمازومي كل من رمضان إيسوزاكي وزبير سوزوكي وصديق ناكاياما ويوسف إيموري (متعهم الله بوافر الصحة) .
- وبرز في هذه الفترة رائد عملاق وهو المرحوم عبدالرشيد أرشد وهو مهندس باكستاني من التبليغ وحافظ للقرآن الكريم وداعية من الطراز الأول زار اليابان في بعثة تدريبية على حساب الحكومة اليابانية عام ١٩٥٩ والتحق بالبعثة التبليغية الثالثة وأسلم على يديه خيرة الناس ومنهم خالد كيبا وهو الذي شجع كاتب هذه السطور على المجيء إلى اليابان حيث تعرفت عليه بواسطة المرحوم السيد علي أبو الحسن الندوي حينما قابلته في زيارة له لباكستان حيث كنت أدرُس الزراعة في لائلبور "فيصل آباد". وبعد عودة عبدالرشيد من اليابان لقيته في رايوند قرب لاهور في نوفمبر ١٩٥٩ في اجتماع التبليغ السنوي فكان يشجعني للذهاب إلى اليابان ويقول : اليابان

كالبستان الزاهر مملوء بالفاكهة اليانعة تدخله وتجمع الثمار بكل سهولة وإن من بين الذين يسلمون من هم أشبه بالصحابة .

- أشرف عبد الرشيد أرشد في أوائل الستينات على مد الخطوط التلفونية بين مكة والمدينة وأخبرته وأنا في اليابان في عام ١٩٦١ أن عمر ميتا بدأ يترجم معاني القرآن الكريم حيث كنت أسكن مع عمر ميتا في غرفة واحدة لمدة سنة تقريباً فاتصل وهو مقيم بمكة المكرمة بالرابطة حين أول تأسيسها فاستدعت عمر ميتا وبعدها مصطفى كومورا وترجم ثلاثتهم سوية معاني القرآن الكريم لليابانية وتوفى عبد الرشيد بحادث سيارة بين المدينة ومكة عام ١٩٦٤ أو أوائل ١٩٦٥ وكان معه مصطفى كومورا وعمر ميتا فنجاهما الله ليتما نشر ترجمة معاني القرآن الكريم .

- وممن أسلم في هذه الفترة عملاق ياباني آخر ورائد كبير في مسيرة الدعوة الإسلامية في اليابان وهو المرحوم البروفسور عبد الكريم سايتو أسلم على يد أهل التبليغ وعمل أستاذاً في جامعة تاكشوكو Takushoku وأسلم على يديه عشرات من الشباب اليابانيين. أرسلناهم سوية في الستينات للأزهر وفي السبعينات للمملكة العربية السعودية وهم الآن يتولون تعليم اللغة العربية في الجامعات اليابانية والعمل في كبرى الشركات، ومنهم من يتولى إدارة جمعية مسلمي اليابان الآن مثل الأستاذ خالد هيكوجي Higuch رئيس الجمعية والأستاذ أمين توكوماتسو والأستاذ يحيى إيندو .

الستينات/ ١٩٦٠ – ١٩٧٠م :

- وصل اليابان الطلاب المسلمون الأجانب باكستانيون، عرب (ومنهم كاتب هذه السطور) أتراك، وأعداد كبيرة من إندونيسيا، وشكلنا أول جمعية للطلبة المسلمين في اليابان في أوائل عام ١٩٦١ ومن إدارتها د/زحل من إندونيسيا (الآن بروفسور في جامعة جاكرتا الوطنية ووزير سابق وجمع لنا مبلغاً محترماً للمساعدة في إعادة بناء مسجد طوكيو المركزي) مظفر أوزي (تركي) أحمد سوزوكي (ياباني أزهري يمثل الجيل الثاني حيث إن والده مسلم وخاله مسلم) وعبد الرحمن صديقي (باكستاني) وصالح السامرائي (عربي) .

- شكل الطلبة المسلمون مجلساً مشتركاً للدعوة مع جمعية مسلمي

اليابان (عمر ميتا، عبد المنير واطنابا وعبد الكريم سايتو) من الجانب الياباني و (عبد الرحمن صديقي ومظفر أوزي وصالح السامرائي من جانب الطلبة) ومن النشاطات التي قام بها المجلس :

١- أصدر المجلس كتيبات عن الإسلام من تأليف عمر ميتا وترجم ونشر كتاب ما هو الإسلام للمودودي .

٢- ساعد الأخ فاروق ناغاسي بإصدار جريدة صوت الإسلام في اليابان .

٣- أرسل الشباب اليابانيين للدراسة في الأزهر وقبل إرسالهم عمل لهم دورات مكثفة .

٤- والى شؤون الدعوة في أنحاء اليابان بعد أن انقطع أهل التبليغ .

٥- اشترى المجلس أول مقبرة للمسلمين في إينزان بتبرع من المملكة العربية السعودية والكويت ومن خالص أموال المرحوم عبد الكريم سايتو (سجلت المقبرة فيما بعد باسم جمعية مسلمي اليابان وعلى أساسها حصلت الجمعية على التسجيل الرسمي في محافظة ياماناشي المجاورة لطوكيو)

٦- قدم المجلس البروفيسور عبد الكريم سايتو للعالم الإسلامي فأول ما زار العراق ثم مصر ثم المملكة العربية السعودية وبعدها الكثير من البلدان الإسلامية .

٧- فتح المجلس أول مركز إسلامي في طوكوشيما بجزيرة شكوكو عام ١٩٦٥م ولم يستمر إلا لسنة واحدة .

٨- فتح أول مركز إسلامي في طوكيو عام ١٩٦٥م بدعم من أول سفير لدولة الكويت الشقيقة (الأستاذ الصنيع ، وعلمت أنه ذهب إلى ربه، رحمه الله رحمة واسعة).واستمر المركز لسنة تقريباً وأغلق لأن السفير انتقل من اليابان وانقطع الدعم .

- سعادة الأستاذ المنقور سفير المملكة العربية السعودية في طوكيو ومعه الأستاذ محمد بشير كردي متعهما الله بوافر الصحة والعافية والأستاذ صلاح الحسيني يرحمه الله (وهو نجل المرحوم حاج أمين الحسيني مفتي فلسطين) في سفارة المملكة بطوكيو كانوا يدعمون نشاطنا والأستاذ المنقور كان يدفع لنا في كل مناسبة مبلغاً محترماً للقيام بالنشاطات المختلفة

الاخوة الإندونيسيون كان لهم مقر ضخم في قلب طوكيو وقرب مسجدها المركزي وكنا نحيي فيه المناسبات الإسلامية وخصوصاً عيد الفطر المبارك حيث يعملون حفلة ضخمه فيها لذيذ الطعام يسمونها "الحلال بالحلال" يأتيها المسلمون وكبار المسؤولين اليابانيين وحتى أعضاء البرلمان فكانت تظاهرة إسلامية كبيرة.

- في الثلث الأخير من هذه الفترة وبعد أن عاد أكثر الطلبة إلى بلدانهم وقل نشاطهم جاء إلى اليابان عملاق آخر وداعية قل نظيره، هو "سيد جميل" المحاسب القانوني الأول في حكومة باكستان Chief Accountant ورئيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم بكراتشي لقد تابع ما بدأ به الآخرون ووسع ، كما نشر بعض الرسائل باللغة اليابانية وشمل نشاطه كوريا أيضاً .

- وجاء إلى اليابان أستاذ مصري قدير هو المرحوم علي حسن السمني حيث علم اللغة العربية في جامعة اللغات الأجنبية والمعاهد اليابانية الأخرى من ١٩٦٣ – ١٩٧٨ وتخرج عليه المئات من اليابانيين وراجعه كبار الأساتذة واستفادوا منه وأنعم عليه إمبراطور اليابان السابق بوسام رفيع تقديراً لخدماته في حقل الثقافة العربية الإسلامية. وكان يجلس في السبعينات في مسجد طوكيو بعد عصر كل يوم أحد ومعه المرحوم عبد الكريم سايتو وكاتب هذه السطور لاستقبال من يسأل عن الإسلام من اليابانيين .

- كما لا ننسى إمامي المسجد المركزي في طوكيو مفتاح الدين وعينان صفا تغمدهما الله برحمته وكذلك السيد كلكي إمام مسجد كوبي رحمه الله وهم من التتار المهاجرين حيث كانت لهم خدمات جلّى للجالية الإسلامية .

- ونود أن نؤكد أنه في هذه المرحلة كان الدعم المادي الرئيسي للنشاطات العامة التي يقوم بها المجلس الإسلامي المشترك كان من الكويت الشقيق وكان الواسطة في ذلك الأستاذ عبد الله العقيل والمرحوم عبد الرحمن الدوسري حيث كانا يجمعان لنا التبرعات من أهل الخير وعلى رأسهم المرحوم عبد الرزاق الصالح المطوع القناعي والشيخ عبد الله العلي المطوع وغيرهم، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

(يتبع)

يرفعون البنادق ونرفع الشعارات

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لماذا دائماً وأبداً نختار الحلول السلبية التي لا تكلفنا جهداً ولا تضحية ، طريقاً ومنهجاً لحل مشاكلنا ؟ لماذا لا نتخذ غير المحادثات والمباحثات ، والمجادلات والمناقشات ، وكافة مسميات الكلام والعبارات الدالة عليه ، وسيلة للتصدي لمشاكلنا ؟ حتى بات لدينا ، إن أردنا عدم التعرض لموضوع ما بصورة حدية وإيجابية ، ودفنه نهائياً ، ولا نجعل له أي صدى ، حولناه للمناقشة والمداولة ! ، ولماذا نكتفي بالكلام ، ولا نحوله إلى فعل ؟ ومتى وكيف سيحدث ذلك ؟! هل سيحرر كلامنا فلسطين ، ويعيد الطهارة الى الأرض التي دنسها الصهاينة ؟ هل سيعيد لنا الجولان ؟ بغداد عاصمة العلم والثقافة في عصور الأبطال هل يخرجها الكلام من الذل والخراب الذي تعيشه على أيدي أمريكا ؟

ففي صبيحة كل يوم يخرج علينا ، تقوم إسرائيل بشن اعتداء جديد من سلسلة اعتداءاتها المتكررة بصورة شبه يومية على الفلسطينيين ، تعتدي على شعب أعزل لا يملك إلا الأرض والتاريخ ، شعب لا يملك حتى السلاح للدفاع عن نفسه ، لا سيما أرواح أبنائه التي يجود بها منفذو العمليات الاستشهادية فداء لقدسهم ، وقصاصاً لمن سبقوهم من الشهداء ، ليثبتوا أن ما زال في فلسطين قلوب تنبض بحبها وغيرتها على الأرض المقدسة ، تعتدي عليهم بشن عمليات إبادة جماعية ضد منفذي تلك العمليات وأسرهم ، ودك ضواحيهم بل ومدنهم بأكملها ، صور الفسلطينيين الذين يعتقلهم الجيش الإسرائيلي ويلقي بهم في المعتقلات ليعاملهم معاملة لا ترقى إلى مرتبة الحيوانات ، ليشهد العالم كله تطرف هذه الدولة وتجاهلها لحقوق الإنسان ، وعدوانها الدائم على الفلسطينيين ، واعتداءاتها على أرواحهم وممتلكاتهم وسبل رزقهم ، بما لا يتيح لأي فلسطيني حق العيش في بلده بأمان ، هذا إلى جانب عدوانها المستمر على المقدسات الدينية بوجه عام ، والمسجد الأقصى بوجه خاص بعمليات الحفر والتنقيب تحته ، مما يسبب تصدع أساساته

وتساقط بنيانه ، إسرائيل التي لا تنتهي أطماعها في اغتصاب الأراضي ومنابع المياه العربية ، وها هي تقرب رويداً من تحقيق حلم مؤسسيها الأوائل بإسرائيل الكبرى ، هل جابهناها بغير الكلام منذ أكثر من ثلاثة عقود ، باستثناء حرب لبنان ، هل تصدت سوريا لاعتداءات إسرائيل على أراضيها بغير الكلام ، هل مد الأخوة العرب الفلسطينيين في محنتهم هذه بغير الكلام فمتى وكيف نستطيع محاسبة إسرائيل وقد أصحبت القرائن في إدانتها لا تحمل الشك ؟. وهي تفعل ما تفعله في حماية أمريكا وبترحيب وتشجيع منها ؟!

أمريكا صاحبة الديمقراطية ، والمدافعة الأولى عن حقوق الإنسان ! أمريكا التي تخطط وتنفذ مخططاتها في نهب ثروات بلادنا العربية الإسلامية ، أمريكا التي تزيف الحقائق لمصلحتها ، ها هي وقد دخلت العراق خائفة على العالم من الأسلحة النووية التي زعمت امتلاك صدام حسين لها ، دخلت لكي تنقذ الشعب العراقي من ديكتاتور ظالم ينهب حقوقه ويغتصب خيراته ، دخلت لكي تخرج العراقيين من الظلم والقهر إلى الحرية والديمقراطية !!! دخلت العراق وهي واهمة أن يقابلها الشعب العراقي بالورود والرياحين ، أي شعب هذا الذي يرضى أن يستبدل حاكمه ابن البلد واللغة والدين ، مهما بلغ طغيانه ، بمستعمر يمقت عقيدتنا ويكره تقاليدنا ولا يعرف لغتنا ، وليس لديه سوى لغة الدمار والفتك ، وقد سبق له أن رأى تجربتها التي تشهد بوحشيتها في أفغانستان ، فمن أين يأتي بتصديق مزاعمها ؟ ولكن ماذا يفعل الشعب المغلوب على أمره ؟ ستدخل أمريكا شاء أم أبي ، ستدخل لأنها الوحيدة التي تملك حق اتخاذ القرار وحق تنفيذه ، وأما حلفاؤها وخصومها أيضاً فلا يملكون سوى موافقتها ولا يقدرون إلا على ذلك ، يقدمون موافقتهم مع تمنياتهم بالتوفيق ، انتظاراً لنصيبهم من غنائمها ، وها هي أمريكا قد دخلت العراق ولكن كيف دخلت ؟ دخلت على جثث وأشلاء الأطفال والنساء والرجال ، هؤلاء ممن كانت تدعي قدومها لإنقاذهم ! دخلت بعد تدمير شامل وكامل لأحياء كثيرة من بلاد الرافدين على رؤس قاطنيها ، دخلت وقد ملأت المعتقلات والسجون بالعراقيين نساء ورجالاً وأطفالاً ، دخلت وقد أذاع العالم كله فضائح التعذيب التي تعرض لها العراقيون على يد الأمريكان في سجون العراق ، ويا له من تعذيب تقشعر من سماعه الأبدان ، وتشيب منه الولدان ، فما بالكم

بوقعه على أجساد العراقيين ! ، ومن قبل ملأ أسماع العالم ما جرى من تعذيب بشع جسدي ومعنوي على المعتقلين المسلمين في جوانتامو على أيدي الأمريكان أيضاً ، وإذا كان صدام لديه أسلحة دمار شامل على حد ادعائها فلماذا لم يستخدمها في الدفاع عن نفسه وإمبراطوريته من الانهيار ؟ ولماذا لم يفتك بها من قبل أن تنال منه ؟ ، وأين هو ذاك السلاح ، فلماذا لم تعلن أمريكا عن إيجادها إياه وقد احتلت العراق عن آخره وفتشت كل أرجائه فوق الأرض وتحتها ؟ ، دخلت أمريكا بغداد وسط أعين النساء والأطفال وأنصاف الرجال دخلتها والجميع يعرف الأسباب ، نالت أمريكا مطامعها في العراق ، وبعدها جاء وقت اللعب والتسلية عن هؤلاء الحمقى الذين لا يملكون سوى العجز أمامها ، فها هي تأخذ بنا لكي نشاهد مسرحيتها الهزلية في محاسبة صدام وأعوانه ممن أساءوا للشعب العراقي ، ها هي تأخذ للشعب حقه من مجرمي الحرب ، وأخذ كل منا مقعده ليشاهد المسرحية التي انفردت أمريكا فيها بإخراج مسرحي بارع ، فاق كل التصورات ، إخراج تفوقت فيه على أعظم مخرجي الأفلام العالمية ، وظللنا نشاهدها حتى جاءت النهاية التي اختارتها أمريكا ، قدمت لنا فيها كبش الأضحى ، في صباح أول أيام عيد الأضحى ، رأس صدام هي أضحيتها ذلك العام هدية للمسلمين في عيدهم ، استهزاء بمشاعر المسلمين وشعائرهم الدينية ، ولكنها أمريكا التي نصبت نفسها مدعياً للنيابة وقاضيا وجلادا ، والتي أعطت لنفسها حق الثواب والعقاب ، أمريكا التي أعلنتها صراحة من لم يدخل في إطار طاعتها واتباع أوامرها يحسب على أعدائها ويجهز نفسه لمعركة غير متكافئة ، وقد استطاعت أن تقنع العالم بما تريد وبما تفعل ، نعم هذه هي أمريكا يتسابق الحكام العرب في نيل شرف موالاتها والتحالف معها .

وأمام هذا الاستقرار لمشاعر العرب والمسلمين ، لم نر أيا من الحكام يتخذ موقفاً جادا يرد به على أفعالها ، يظهر قادتنا على شاشات التيلفزيون ليشجبوا ويندوا ، فهل هانت على ولاة أمورنا كرامتنا وعزتنا لهذه الدرجة ، ولم يصبحوا يملكون سوى الشجب والتنديد في تصريحاتهم التي تسمعها أمريكا وحلفاؤها كنوع من السخرية على أشباه الرجال الذين لا يملكون حق اتخاذ القرار ، وها هم القادة ، منهم من ارتضى بما يحدث واقتنع به لمصالح شخصية أو على أمل أن يصيبه جزء من غنيمة أمريكا ،

ومنهم من كان من نصيبه الجبن والتخاذل والخوف أن يحل به لعنتها ، ومنهم من اختار العمالة وأن ينول شرف موالاتها ، فإن لم يكسب فلن يلحقه ضرر ، حكام يخونون أنفسهم وثقة شعوبهم !!! وبين خوف وتخاذل الحكام ، وغليان الشعب العربي ، يبدأ القهر لإرادة الشعوب والضغط عليها لكتمان صوتها عن العالم ، وكأنهم يخافون أن تسمعه أمريكا .

أي عروبة هذه ؟ وأي إسلام هذا الذي ندعيه ؟ ، فالإسلام بريئ منا ومن عبارات اللوم والعتاب التي يواري خلفها الحكام ضعفهم وتخاذلهم وخوفهم على كرسي الحكم الذي ضاق صبراً بأفعالهم ، فالإسلام بريئ من تآمر الأخ على دم أخيه ، بريئ من صمتنا عن الحق ، من نفوسنا الضعيفة التي لا تثق في إيمانها ولا تستطيع دفع الظلم عن نفسها ، فترتضي الذل والهوان ، حقيقة إننا لا نملك حق الاعتراض على قرارات أمريكا وإسرائيل وما أسموه "الفيتو" ، لكننا نملك ما هو أقوى من الفيتو ، نملك وعداً بنصر الله إذا أخذنا بأسبابه ، نملك إرادة شعوبنا في النيل لكرامتها وشرفها واسترداد أراضيها والقصاص من أعدائها ، نملك شباباً يتمنون التضحية بأرواحهم في سبيل الله ، ولكننا لا نرى كل هذا ! ولتعلموا يا سادة العالم العربي يا من لا تكلفون أنفسكم النظر من نوافذ بروجكم العالية ، لتروا الخلقية ، التي مهما تجاهلتموها ، ستظل شجاً يطاردكم ، إن رأس صدام حسين ليست هي آخر الرؤوس التي ترغب أمريكا في استئصالها ، وإن بغداد ليست هي أقصى مطامع أمريكا ، وإذا ظل حالنا هكذا ، وباتت لدينا هذه الروح الانهزامية ، وأن يفكر كل منا في شأنه غير مبال بما يحدث لغيره ، ولا يملك سوى توجيه اللوم والعتاب الذي لا يرقى إلى أضعف الإيمان ، سيكون الدور علينا آتياً لا محالة ، فلماذا نترك أنفسنا نتفرق لنيسر على أعدائنا أن ينالوا منا فرادى ؟ لماذا لا نوحد صفوفنا ونحتمي بكثرتنا ؟ وقتها لن تستطيع أمريكا أو إسرائيل أو أية قوة في العالم قهرنا ، ويا أبناء العالم العربي والإسلامي متى نتحرك عن صمتنا ونسترد من دعاة حماية حقوق الإنسان حقوقنا التي سلبوها ، وإنسانيتنا التي اغتصبوها وثرواتنا التي نهبوها ؟ ، هل ننتظر ميلاداً جديداً لصلاح الدين الأيوبي أم ننتظر بعثه .

❖❖❖❖

رجالات العلم والتاريخ :

سيرة النبي ﷺ

بقلمي شبلي النعماني ، والسيد سليمان الندوي

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد أنظر الندوي
أستاذ مساعد لقسم الأدب العربي جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية ، حيدرآباد

قام العلامة شبلي بن حبيب الله النعماني (١٨٥٧ – ١٩١٤م) والعلامة السيد سليمان الندوي (١٨٨٤ – ١٩٥٣م) بالاشتراك ، بتأليف أهم كتاب : السيرة النبوية باللغة الأردية في الهند في سبعة مجلدات ضخمة ، وسمى ذلك الكتاب بـ "سيرة النبي" (السيرة النبوية) ، لقد كتب شبلي النعماني مجلديه الأولين ، ثم وافاه الأجل ، وأكمل من بعدُ ، هذه السلسلة الذهبية في خمسة مجلدات أخرى ، تلميذه الأجل السيد سليمان الندوي ، ومرت هذه المجلدات السبعة من خلال مرحلة الطبع والنشر على أساس التناوب في الأعوام ١٩١٨م ، ١٩٢٠م ، ١٩٢٤م ، ١٩٣٢م ، ١٩٣٨م ، ١٩٨٠م على التوالي (١) .

أهمية كتاب "سيرة النبي" وقيمته :

تمتاز "سيرة النبي" عن جميع كتب السيرة النبوية التي ألفت باللغة الأردية واللغات الأخرى المهمة بأجمعها في القرن العشرين الميلادي بموادها وأسلوبها ، سيرة النبي : وإلى هذه المرحلة انتهت رحلة شبلي النعماني العلمية ، فهو آخر كتاب تشرف بتأليفه ، كان ينوي أن يتم الكتاب في عدة أجزاء حتى يستقصي الموضوع من جميع نواحيه ، ولكنه لم يؤلف إلا جزئين حتى وافاه الأجل ، ثم قام بعده تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي بإتمام الكتاب في سبعة مجلدات كبار ، ألف العلامة النعماني هذا الكتاب رداً

(١) مجلة معارف ، أعظم كرهـ ، سليمان نمبر ، مايو ١٩٥٥م ، رتبه الشيخ معين الدين أحمد الندوي ، ص/١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٢ ، – الشيخ معين الدين أحمد : حياة سليمان ، ص/١٦٨ ، ٣١٠ ، ٣٩٢ ، ٤٣١ ، ٤٧٢ ، سيد سليمان الندوي : سيرة النبي ، ج/٧ ، محمد سعيد اينڈ سنز كراتشي ، ص/٧ ، ٨ .

على الكتب التي ألفها المستشرقون المسيحيون الحاقدون على الإسلام والناقمون على نبيه (ﷺ) ، والتي أثاروا فيها شبهات واهية حول حياة النبي ﷺ تنم عما تكن صدورهم من حقد وعداء ، لقد كتب المؤلف شبلي النعماني رسالة إلى المنشي محمد أمين الزبيري قال فيها : لولا وافاني الأجل ، وبقيت لي عين واحدة ، فأخلف بمشيئة الله تعالى كتاباً لا يؤتى بمثله طوال مئات السنين (٢) .

ومن سوء حظ الأمة المسلمة أن شبلي النعماني لم ينل حياة يسعد فيها بإتمام كتابه القيم بنفسه ، بالرغم من ذلك يقول شيخ محمد إكرام : إنه ألف المجلدين الأولين بجهد مكثف ، وتدبر عميق ، وقالب أدبي ، مع دقة النظر ، وسعة العلم ، وحسن الاستدلال ، ومن الصعب جداً أن يوجد له مثل في أدب العالم الإسلامي (٣) ، وقد بذل السيد سليمان الندوي قصارى مجهوداته المتواصلة في تحقيق الأمنية التي تمناها عليه من بعد وفاته ، وأنجز المشروع العلمي والتحقيقي الخالص ، بالجهد المتواصل والأمانة النادرة ، وألف كتاباً لا يوجد له نظير ولا مثال لدى أهل الألسنة واللغات المختلفة ، يقول الإمام المفكر السيد أبو الحسن علي الندوي في كتابه "شخصيات وكتب" (ص/٥٥) : "وسّع العلامة السيد سليمان نطاق السيرة من سرد الأحداث وبيان الشمائل ووصف العادات إلى الرسالة المحمدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية وبحث شعبها المختلفة ، وبهذا المنهج المنفرد الموسع الذي سلكه أستاذه العلامة شبلي النعماني في المجلدين الأولين للسيرة النبوية ، وسلكه العلامة السيد سليمان في المجلدات الخمسة الباقية ، أصبح الكتاب موسوعة للسيرة لا يوجد لها نظير في أي لغة من لغات المسلمين في العالم من أقصاه إلى أقصاه"

ندرة "سيرة النبي" بين ذخائر السيرة النبوية :

يقول مولانا الشيخ معين أحمد الندوي : إن الكتب التي ألفت في

(٢) الدكتور أنور خالد محمود : اردو نثر میں سیرت رسول الله ، ص/٥٣٦ (سيرة الرسول ﷺ في النثر الأردي) ص/٣٢٦ (٣) شيخ محمد إكرام : یادگار شبلی (ذكرى شبلي) ، إدارة الثقافة الإسلامية ، لاهور ، ١٩٧١ ، ص/٤٣٦ .

السيرة باللغة الأردية في الهند في باكورة عهدها قبل تأليف سيرة النبي كانت مؤلفة في المغازي والأخلاق والشمائل والمولد النبوي الشريف فقط ، ولم يعتن المؤلفون بصحة الروايات وبحثها وانتقادها ، وإنها مجموعات المرويات الصحيحة والضعيفة سوى بعض الكتب ، مثل (رحمة للعالمين) للقاضي محمد سليمان المنصور بوري وغيره ، ولكن وجهات نظرهم كانت مختلفة عن وجهة نظر دار المصنفين ، والجدير بالذكر أن مثل تلك الكتب قد ألفت لإفادة عامة المسلمين المتدينين فقط ، ولم تكن فيها ردود لشبهات المستشرقين ، وأجوبة كافية للتيارات الحديثة ، والأذواق المستحدثة ، ولهذا فهو أول كتاب في السيرة ، اهتم فيه المؤلف بهذه الاحتياجات بأكملها وعرض فيه أحداث حياة الرسول ﷺ وشمائله وتعاليم الإسلام بأسلوب تحقيقي جذاب يضطر المنكرون والمعاندون إلى اعتراف بعظمتها وصدقها (٤) .

إفحام المستشرقين وإقناع العقلانيين :

والواقع أن المؤلف قام بتأليف الكتاب رداً على الكتب التي ألفها المستشرقون المسيحيون الحاقدون على الإسلام ، والناقمون من نبيه ﷺ ، والتي أثاروا فيها شبهات واهية حول حياة النبي ﷺ ، وقد سبق أن ألف السر السيد أحمد خان كتابه في السيرة باسم "الخطبات الأحمدية" والقاضي محمد سليمان المنصور فوري كتابه "رحمة للعالمين" ، ولكن كتاب سيرة النبي للعلامة شبلي يفوقهما في التحقيق العلمي وإقناع العقول الحديثة ، فإن العلامة شبلي كانت له معرفة دقيقة باعتراضات المستشرقين وخلفياتهم العقلية والفكرية ، ثم إنه يمتاز بتقديم دلائله وبراهينه في أسلوب علمي جاد رصين ، لا يبقى للدارس بعدها مجال للشك والاختلاف ، زد على ذلك أنه يبز معاصريه جميعاً في السليقة الكتابية ، وفصاحة اللغة ، وجودة البيان ، والملكة النادرة ، حتى إنه يتحكم في عقول القراء ، ويستولي عليها من خلال عباراته الأدبية الساحرة ، لا يحكي الكتاب سيرة النبي ﷺ فحسب ، بل يتناول المواضيع الإسلامية بكاملها من العقائد والعبادات والمعاملات

(٤) الشيخ معين الدين أحمد الندوي : فضيلة الأستاذ : خدماته الدينية والعلمية في ضوء مؤلفاته ، مجلة معارف الأردية ، أعظم كره ، العدد الممتاز باسم سليمان نمبر ، ص/١٧٨ .

والمعجزات والأخلاق ، كأنه سيرة النبي ﷺ بمعناها الواسع الشامل ، ومما يمتاز به تحري المؤلف في اختيار الأخبار الصحيحة ، وعدم الاعتماد على الواقدي وأمثاله ، وبذل التحقيق والبحث الدقيق في الأحداث ، والكتاب حافل بأمثلة التحقيق النادرة .

بدء الإسلام :

كان العلامة شبلي النعماني ولوعاً بحب النبي ﷺ منذ مبتكرات حياته التأليفية ، ولما نزل عليكراه ، فبدأ كتابة رسالة وجيزة باسم "بدء الإسلام" في السيرة باللغة العربية عام ١٨٩١م بطلب من سيد أحمد خان ، وترجمت إلى الفارسية بحكم مولانا حميد الدين الفراهي ، وإنها أدخلت في مقررات كلية عليكراه الدراسية ، ثم قام بترجمتها إلى الفارسية الأستاذ مولانا حميد الدين الفراهي ، ومن الفارسية إلى الأردية الأستاذة ميمونة سلطان شاه بانو (زوجة حميد الله خان نواب فوبال) باسم "آغاز إسلام" في عام ١٩١٦م تقريباً (٥) وهذا الكتاب في الحقيقة مؤلف قيم في حياة الرسول ﷺ وتعاليمه البناءة ، وإنه أحدث في نفوس الطلاب والمؤلف نفسه عواطف الحب والوداد للنبي ﷺ ، التي تسببت في إحداث ثورة علمية فكرية تحقيقية في شكل كتابه القيم النادر المسمى بـ سيرة النبي .

الاستمرار في الطلب لتأليف سيرة النبي :

كان العلامة شبلي النعماني بحاثة وعلامة في عصره ، وكانت له براعة كاملة ، وخبرة موسعة ، وتجربة عملية ، في حقل التأليف والنشر ، وإنه بدأ سلسلة الكتابة في أبرز الأعلام حول التاريخ الإسلامي ، فكتب "الفاروق" و "الغزالي" والناس يطالبونه من أقصى مناطق الهند وأرجائها أن يؤلف كتاباً قيماً نادراً في السيرة النبوية يكون في طليعة قوائم الكتب الأخرى ، وألحوا على هذا العمل الجليل عن طريق المحادثات والمناقشات والخطابات والرسالات ، هذا ، وفي جانب آخر ، كان العلماء والسادة في

(٥) الدكتور أنور خالد محمود : اردو نثر میں سیرت رسول الله ، ص/٥٣٧/شيخ إكرام : یادگار شبلی ص/٩٣ ، سيد سليمان الندوي : یاد رفتگاں (ذكر الماضين) مجلس نشريات إسلام ، كراتشي ١٩٨٣ ، ص/١١٦ .

الهند ومن أمثالهم سير سيد أحمد خان ومحمد علي جوهر والعلامة شبلي النعماني وغيرهم يحسون بالحاجة الشديدة للحفاظ على التراث الإسلامي وللحفاظ على النشء الجديد والمثقفين المحدثين الذين كانوا يعجبون بمؤلفات الغرب والمستشرقين في السيرة النبوية ، ومن خلال هذه الأحاسيس والمشاعر كان لا بد لهم من أن يؤلفوا كتاباً ضخماً نادراً في موضوع السيرة النبوية باللغة الأردية إنجازاً لمشروع علمي كبير ، فالتمسوا من الأستاذ العلامة شبلي النعماني أن يؤلفه ، فرضي شبلي ، وجاش في قلبه الشوق والحنان تجاه السيرة النبوية .

مواجهة العراقيل والصعوبات :

ولكن المشكلة الكبيرة الأولى التي كانت تقف دونه ودون التأليف هو فقدان كتاب مستقل صحيح عربي في السيرة النبوية ، حتى يتسنى العمل في تخريج الأحاديث ، واستنباط الآراء ، وقبول الوقائع ، والأمر الغريب هو أنه لا يوجد كتاب بين أمهات الكتب يتأتى على درجة الكمال ، من حيث وصف الصحة والضعف ، فكان من الضروري أن تكون جماعة تبحث عن الروايات الصحيحة ، وتجمع وقائع حياة الرسول ﷺ من مصادر كتب السيرة والتاريخ الإسلامي .

والمشكلة الكبيرة الثانية هي أن شبلي النعماني لم يكن يجيد أية لغة من لغات أوروبا نحو الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، فاحتاج إلى طائفة تقوم بترجمة الكتب الإنجليزية إلى الأردية ، وتجمع أخباراً مما أبداه المستشرقون لصالح الإسلام ومحمد ﷺ ، ومعلومات شوهوها في كتبهم الإنجليزية ، وعلى رأسهم : مارجوليوت في "محمد" وسير وليم موير في "حياة محمد" في السيرة النبوية .

والمشكلة الكبيرة الثالثة لأداء هذه الواجبات كانت النفقات الباهظة والمبالغ الطائلة التي يجب أن تنفق من أجل ذلك ، فهي لم تكن تتوفر لدى العلامة شبلي النعماني ، فالتمس من الجمهور أن يتبرعوا لهذا الغرض حتى نال الترحاب والإقبال من الناس للمساعدة المالية والتعاون العلمي وقررت نواب سلطان جهان بيكم حاكمة فوبال مائتي روبية شهرياً لسنتين ، ثم استمرت المساعدة إلى تكميل الكتاب .

يشمر المؤلف عن ساعد الجد ويقسم الأعمال :

وإذ اجتمعت الأسباب الكافية والإمكانيات الضرورية صمم الأستاذ العلامة وعقد عزمه لكتابة السيرة النبوية ، وأعلن إرادته العطرة في مجلة "الندوة" في شهر يناير ١٩١٢م ، وأسس لجنة لتأليف سيرة النبي ﷺ ، وعين الأستاذ السيد سليمان الندوي مساعداً عربياً ومساعدين آخرين للترجمة من الإنجليزية إلى الأردية ، وعلاوة على هؤلاء المساعدين ساعده الأستاذ عبد الماجد الدريابادي ، والأستاذ عبد السلام الندوي كالعاملين المباشرين في المكتب ، ومولانا شيرواني ، والشيخ عبد القادر ، ومهدي افادي ، وجنيد ، وسيد نواب علي ، ومولانا وحيد الدين الفراهي ، (٦) وبدأ العلامة شبلي النعماني كتابة سيرة النبي في ممبائي ١٧ يونيو عام ١٩١٢م ، واستمر الاختلاف إلى لكناؤ وحيدر آباد وممبائي وأعظم كره وإله آباد وغيرها من المدن والأمصار خلال تأليف الكتاب ، وكانت أمنيته الغالية أن يكتب سيرة الرسول ﷺ في خمسة مجلدات ولكن للأسف أن وافاه الأجل ولفظ نفسه الأخير بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩١٤م ، وقد كانت السيرة النبوية أشربت بلحمه ودمه حتى الممات ، وافتتح الكتاب بأبيات من الشعر باللغة الأردية :

فرشتوں میں یہ چرچا ہے کہ حال سرور عالم
دبیر چرخ کہتا یا کہ خود روح الامیں کہتے
صدا یہ بارگاہ عالم قدوس سے آئی
کہ یہ ہے اور ہی کچھ چیز کہتے تو نہیں کہتے

يقول فيه : "يتناجى الملائكة أن حياة سيد العالم ﷺ لا يمكن أن يوفي حق تأليفها إلا مدبر السماء أو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، إذ علا نداء من رب العالمين ، إن هذا أمر لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله وعز شأنه" ، ولله دره حين يقول في بيت آخر بالأردية .

(٦) عبد الماجد الدريا بادي : كريسبت لاهور ، شبلي نمبر ، يناير ١٩٧١م ، ص/٢٧ – ٢٦ ، عنوان المقال : شبلي ، إنسان ، مصنف ، مصنف (شبلي : الإنسان ، والمؤلف ، وصانع المؤلف) ، سيد سليمان الندوي : يادرفتگاں ، ص/١٢٢ .

عجم کی مدح کی ، عباسیوں کی داستاں لکھی
مجھے چندے مقیم آستان غیر ہونا تھا
مگر آب لکھ رہا ہوں سیرت پیغمبر خاتم
خدا کا شکر ہے یوں خاتمہ بالخیر ہونا تھا

يقول فيه : "مدحت العجم وأثنيت على بني العباس ، لأنه قدر لي أن أقرع أبواب الأجانب وأجلس على عتباتهم مدة من الزمن ، ولكني أؤلف الآن سيرة خاتم النبيين ﷺ ، فالحمد لله والشكر له أن وقفني لحسن الخاتمة" .

وكان العلامة إذ أيقن الوفاة ، فدعا مولانا أبا الكلام آزاد ، ومولانا حميد الدين الفراهي ، ومولانا السيد سليمان الندوي ، فسعد السيد سليمان الندوي بزيارته أولاً فودع شبلي النعماني أمانته العلمية التحقيقية إلى السيد سليمان الندوي ومولانا حميد الدين الفراهي ، وطلب منهما إتمام المشروع على المنهج الذي خططه هو لنفسه ، وكلفهما بوفاء العهد ، ولكن الأستاذ السيد سليمان الندوي أوفى الوعد الذي جعله موثقاً بين يدي أستاذه العلامة شبلي النعماني بأقصى غاية من الأمانة والوفاء ، لم يضف شيئاً بين تراكيب وعبارات الأستاذ إلا عند التحشية أو المراجع المتروكة ، وكلما أضاف شرحاً للعبارة جعله بين القوسين مشيراً إليه ، ليميز القارئ بين عبارة الأستاذ وعبارة التلميذ ، وتقل هذه الزيادات في المجلد الأول ، وتكثر في المجلد الثاني (٧) ولذا يقول الشيخ محمد إكرام : إن المجلد الثاني يشترك فيه الأستاذ والتلميذ ولا يخلص للأول فقط (٨) .

محتويات سيرة النبي :

المجلد الأول : يشتمل المجلد الأول (٦٢٢/صفحة) على مقدمتين ، تستغرق المقدمة الأولى ١٠٣/صفحة ، يبحث المؤلف في هذه المقدمة عن ضرورة فن السيرة وأهميتها ، ونشأتها وتطورها ، وعن أشهر المؤلفات والمؤلفين ، وأصول الرواية والدراية ، وأوضح المؤلف أولاً أهمية السيرة من حيث علم الكلام ، وقيد تاريخاً موجزاً للتراث الذي جمعه القدماء في كتب السيرة النبوية ، واتصالها بالأحاديث والمغازي والتاريخ ، وعرف بأفضل كتاب السيرة (عاصم بن عمر قتادة الأنصاري ، والإمام الزهري ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، وابن هشام ، والواقدي وابن سعد) وأفضل

(٧) الدكتور أنور خالد محمود : اردو نثر میں سیرت رسول الله، ص/٥٥٠ .
(٨) شيخ محمد إكرام : يادگار شبلي ص/٤٢٨ .

المؤرخين (الإمام البخاري والطبري وابن الأثير وابن خلدون وأبو الفداء) ، كما ألقى الضوء على كتب السيرة للقدماء والمتأخرين ، وناقش رواية ودراية أصول الحديث للبحث عن الروايات ثم بحث عن روايات الحديث وروايات السيرة ودرجة استنادها ، وفي الختام استعرض الكتاب الأوربيين وكتبهم في السيرة بإيجاز ، ثم بين الأصول والمناهج التي خططها عند كتابة السيرة النبوية .

وأفاض المؤلف في المقدمة الثانية (ص/٥٦) للمجلد الأول للمعلومات القيمة عن تاريخ الجزيرة العربية السياسي والاجتماعي والحضاري والثقافي والديني ، من خلال بيان سبب تسميتها وموقعها الجغرافي ومصادر التاريخ القديم والأمم والقبائل والديانات ومجتمعاتها وبناء الكعبة وذبح إسماعيل عليه السلام ، يقول الدكتور السيد عبد الله : إن المقدمة الأولى نموذج للانتقاد العلمي (٩) ويقول الدكتور السيد شاه علي : إن من المستحيل أن نجد في سائر الأدب الإسلامي نظيراً لمثل هذه المقدمة الأولى (١٠) ويقول الدكتور الشيخ معين الدين أحمد الندوي : إن هذه المقدمة تستحق التأليف المستقل لمعلوماتها ومباحثها (١١) والمقدمة الثانية أيضاً تحتل مكانة مرموقة لمحتوياتها التاريخية والجغرافية والمباحث عن مكة المعظمة وأقدميتها في ضوء المصادر الشرقية والغربية .

ومن هنا يبتدئ الكتاب الأصل وقد ذكر المؤلف أولاً نسب النبي ﷺ وأحوال أبيه وأجداده القرشيين (ولا سيما منهم قصي ، وهاشم ، وعبد المطلب ، وعبد الله) وأثبت أن النبي ﷺ كان من ولد إسماعيل عليه السلام ، وبين مولده ، وتسميته ، ورضاعته ، ونشأته عند حليمة السعدية ، ووالده الرضاعي ، وأخته وأخاه ورحلته إلى المدينة مع أمه ووفاة أمه وكفالة عبد المطلب وأبي طالب له على التوالي ، ورحلته إلى سوريا ، ومشاركته في حرب الفجار ، وحلف الفضول ، وبناء الكعبة ، وشغل التجارة ، وزواجه من خديجة ، ورحلته للتجارة ، واجتنابه تقاليد الشرك ، ومزالق الخمر

(٩) الدكتور سيد عبد الله : عنوان المقال : نظرة على فن السيرة النبوية ، مجلة فكر ونظر الأردية ، إسلام آباد ، أبريل ١٩٧٦م ، ص/٨٣٠ .

(١٠) الدكتور سيد شاه علي : اردو ميں سوانح نگاري ص/٢٠٤ .

(١١) الشيخ معين الدين أحمد الندوي : حضرة الأستاذ كي ديني وعلمي خدمات (مآثر السيد الأستاذ الدينية والعلمية) مجلة معارف الأردية ، أعظم كره ، سليمان نمبر ، ص/١٨٠ .

والميسر والزنا وقطع الطريق ، ولقاءه مع الموحدين والأحباء .

وسجل الباب الثاني تحت عنوان "آفتاب رسالت كا طلوع" (طلوع شمس الرسالة) وذكر فيه وقائع البعثة والنبوة من خلال عزلة النبي ﷺ وعبادته في حراء ، والرؤيا الصادقة ، والوحي الأول ، وتبليغ الإسلام ، والمسلمين الأوائل ، وعودة قريش إلى الإسلام ومعارضتها ، وإسلام حمزة وعمر ، وتعذيب قريش للمسلمين ، وهجرة المسلمين إلى الحبشة ، وخطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ، وقصة الغرانيق ، وفي شعب أبي طالب ، ووفاة أبي طالب وخديجة ، والخروج إلى الطائف للجوء إلى مطعم بن عدي ، ولقاءه مع القبائل المختلفة ، وإيذاء قريش له ، وتأسيس بنية الإسلام في يثرب ، وبيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الثانية ، وتقريره اثني عشر نقيباً ، وهجرة الرسول إلى المدينة ، واستقبال المدينة رسول الله ﷺ ، وبناء المسجد النبوي ومساكن الأزواج ، وبداية الأذان ، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وموادعة المسلمين واليهود على الأساس التاريخي ، وعوامل تحويل القبلة ، وتفاصيل غزوات بدر وسويق وأحد ، وأحوال الغزوات والسرايا الأخرى ، وميثاق الرسول مع اليهود ، والمعارك معهم ، ومن أمثالها غزوة بني قينقاع ، وإجلاء بني النضير ، ثم تفاصيل غزوة مريسيع ، وقصة الإفك وغزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة ، وزواج النبي من زينب ، وصلح الحديبية ، وبيعة الرضوان ، ودعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام ، وفتح خيبر ، وعمرة القضاء ، وغزوة مؤتة ، وفتح مكة ، وغزوة حنين ، وحصار الطائف ، وقصة الإيلاء ، وغزوة تبوك وحجة الوداع .

وبعد تسجيل هذه الوقائع والأحداث استعرض المؤلف الغزوات والسرايا مرة ثانية على سبيل الإجمال ، وناقش عن الأصول وأساطير الغرب والشرق .

المجلد الثاني : خص المؤلف المجلد الثاني من هذا الكتاب لبيان وقائع السنوات الثلاث الأخيرة التي عاشها النبي ﷺ في المدينة المنورة ، واستعرض في بداية هذا المجلد محاولات الرسول ﷺ في سبيل إقامة الأمن ونشر الإسلام وتقاطر الوفود إلى المدينة المنورة واعتناقهم الإسلام ، وتأسيس الحكومة الإلهية في المدينة المنورة ، وتنظيم الأمور الدينية والتعليمية والتبليغية ، وكمال مهمة التبليغ والتشريع ، والعقائد الإسلامية .

والعبادات والمعاملات (النكاح والطلاق والحدود والقصاص والوراثة والإحلال والتحريم وغيرها) ، وحجة الوداع وخطبتها الوداعية ، ووفاة النبي ﷺ ، وتجهيز النبي وتكفينه ودفنه وميراثه ، والشمائل والعادات ، وصفة الرسول ﷺ خلقاً ، وختم النبوة ، والمحادثة ، والملبس ، والغذاء ، وطريقة المأكل ، وحاله ونفسه ، وعاداته ليلاً ونهاراً ، وعبادته ، وعاداته في إلقاء الخطبة ، والرحلة ، والغزوة ، والزيارة ، والحفلات النبوية ، والأخلاق النبوية ، وشجاعته واستقراره ، وحسن خلقه ، ومعاملته ، وعدله ، وسخاؤه ، وإيثاره وتواضعه ، وتنافره من التسأول ، واجتنابه الصدقة ، وتقبله الهدايا ، وإيمانه بجزاء الإحسان بالإحسان ، وعدم الشدة ، واجتنابه الرهبانية ، وشجبه للقدح والمدح ، وبساطته ، واجتنابه حب الإمارة ، ومساواته ، وحيائه ، وعمله بيده ، وحمل الكل ، وشجاعته ، وصدقه ، ووفائه العهد ، وزهده في الدنيا ، وعفوه وحلمه ، وسلوكه مع الأعداء والكفار والمشركين ، ورأفته ورحمته للمساكين والعبيد ، والنساء والصغار ، ورحمته للحيوان ، ورقة قلبه ، والمؤاساة ، ولطف الطبيعة ، وحبه للأولاد .

وقد بحث المؤلف في هذا الباب عن أحوال أزواج النبي ﷺ (خديجة وسودة وعائشة وحفصة وزينب أم المساكين وأم سلمة وزينب بنت جحش وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية رضوان الله عليهن) وشمائلهن وأخلاقهن وخدماتهن الدينية ووفاتهن وأحوال أولادهن (القاسم ، وإبراهيم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم وفاطمة الزهراء رضي الله عنهن جمعاء) وسلوك النبي ﷺ مع أهل بيته واجتماعه معهم جميعاً .

ويقول الشيخ معين الدين أحمد الندوي : إن المؤلف عرض في هذا المجلد جميع جوانب حياة النبي ﷺ ووقائعها ، سواء كانت تتصل بمهمة التبليغ والتشريع أم مهمة ميدان الحرب والضرب ، تتصل بالحياة العامة أو الحياة العائلية ، وتتصل بالأعداء أو الأصدقاء ، كل جهة من جهات حياته متوافرة فيه بأسلوب يبرز به صدق الرسالة وعظمة الأخلاق على وجه الكمال ، وتضطر المعارضين لقبول وجوه وأشكال عظمة الرسول ﷺ (١٢) .

(١٢) الشيخ معين الدين أحمد الندوي : مجلة معارف ، أعظم كرهـ ، سليمان نمبر ، ص/١٨١ .

(يتبع)

لمحات من حياة بديع الزمان سعيد النُورسي

بقلم : الأستاذ إحسان قاسم الصالحي
(مركز رسائل النور للبحوث والدراسات ، إسطنبول)

في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وفي قرية نورس الواقعة في جنوب شرقي تركيا الحالية ، ولد صبي لأبوين اشتهرا في القرية بورعهما المثاليين ، صبي أسمياه سعيدا ، كتب له القدر أن يكون أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن .

طفل لم تكن حياته إلا ملحمة من الوقائع والأحداث التي تصب جميعها في خدمة القرآن الكريم وتفسير نصوصه ، وبيان مرامي آياته البينات ، ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر ، وكانت غايتها النهائية بث البقظة وإعادة الحياة والفعل للأمة المسلمة بعد طول رقاد .

ما برح سعيد أن التحق بجموعة من الكتاتيب والمرافق التعليمية المبثوثة في تلك النواحي من حول قريته نورس ، وكان يستوعب كل ما يقدم له من علم ، وسرعان ما أضحى لا يجد ما يستجيب لنهمه التحصيلي في المراكز التي يقصدها ، من هنا كانت إقامته في تلك المراكز ظرفية ، إذ كان يتوق إلى الاستزادة المعرفية الحقة ، وظل يرتحل من مركز إلى مركز ، ومن عالم إلى آخر .

لم يعد يجد لدى مدرسيه ما يفيدونه به ، أضحى يتلقى العلم بجهده ، ويلتهم ما في بطون الكتب التي كانت متوفرة ذلك الزمن من تفسير وحديث ونحو وعلم كلام وفقه ومنطق ، كان نادرة في الحفظ ، وكان يعمد إلى الحفظ عن ظهر قلب كل ما تقع عليه عيناه من تلك العلوم ، حتى حفظ ما يقرب من تسعين كتاباً من أمهات الكتب .

وتهيأ بعد ذلك وبفضل المحصول العلمي الجم الذي اكتسبه في طفولته المبكرة تلك ، أن يجلس إلى المناظرة ومناقشة العلماء ، وانعقدت له عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق ، وظهر عليهم جميعاً ، وطارت شهرته في الآفاق .

وفي سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م) ذهب إلى المدينة "وان" وانكب فيها بعمق

على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ ؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمى بـ (بديع الزمان) اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع .

في هذه الأثناء نشبر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني "غلادستون" قد صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً : "ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم ، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به" ، زلزل هذا الخبر كيانه وأقضّ مضجعه فأعلن لمن حوله : "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها" ، فشد الرحال إلى اسطنبول عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م ، وقدم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول ، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" – على غرار الأزهر الشريف – تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته : "ضياء القلب هو العلوم الدينية ، ونور العقل هو العلوم الحديثة ، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة ، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين ، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية" .

في سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) سافر إلى الشام ، والتقى برجالاتها وعلمائها ، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة ، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير وه يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن واشتهرت في تراثه بـ "الخطبة الشامية" ، .. لقد كانت تلك الخطبة برنامجاً سياسياً واجتماعياً متكاملاً .

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعياً أن يهب بديع الزمان في طليعة المجاهدين ، فشكل فرقاً فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس ، وجرح في المعارك مع الروس وأسر واقتيد شبه ميت إلى (قوصتورما) من مناطق روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر ، هيأ له الله أثناء (الثورة البلشفية) الانفلات ، فعاد إلى بلاده واستقبل استقبالاً رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومنح وسام الحرب ، وكلفته الدولة العثمانية بتسنم بعض الوظائف

فرفضها جميعاً إلا ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار الحكمة الإسلامية" ، التي كانت لا توجه إلا لكبار العلماء ، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها : تفسيره القيم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" ، الذي ألفه في خضم المعارك ، و "المثنوي العربي النوري" .

وبعد دخول الغزاة إلى إسطنبول أحس النورسي أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي ، فكان حتماً أن يقف في طليعة من يتصدى للقهر والهزيمة ، فسارع إلى تحرير كتيب "الخطوات الست" حرك به همة مواطنيه ووضع تصوره لرفع المهانة وإزالة عوامل القنوط التي ألحقتها الهزيمة بالدولة العثمانية والمسلمين عامة .

وبعد هذه الفترة (أي منذ ١٩٢٢م) وضعت قوانين واتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمان ، فألغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١) وأعقبه إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣) فمنع تدريس الدين في المدارس كافة ، وبدلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية ، وحرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية ، وجرت محاولات إحلال ترجمة القرآن الكريم في العبادات ، ومنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام ، إذ حظر طبع الكتب الإسلامية وأرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي ، فالرجال أرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف .

وشكلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها ، ونصبت المشانق لعلماء أجلاء ، ولكل من تحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة آنذاك ، فساد جو من الذعر والإرهاب في أرجاء البلاد ، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم على أنظار موظفي الدولة ، ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين ، فانتشرت كتب الإلحاد وحلت محل كلمات (الله ، الرب ، الخالق ، الإسلام) كلمات (الطبيعة ، التطور ، القومية التركية ، الخ) .

ولم ينج بديع الزمان من شرارة الفتن والاضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى "بوردور" ، في شتاء سنة ١٩٢٦م ، ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي "بالار" جنوب غربي الأناضول .

يقول عن نفسه في هذه الفترة :

"صرفت كل همي ووقتي إلى تدبر معاني القرآن الكريم ، وبدأت أعيش حياة (سعيد الجديد) .. أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى .. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم .. أمليتها على من حولي من أشخاص ، تلك الرسائل التي أطلقت عليه (رسائل النور) إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم ، لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني ، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم ، فباركت كل من استنسخها ، لأنني على يقين أن لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل .. وهكذا تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر ، فأيقنت أن هذا تسخير رباني وسوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين .. فاستشعرت بضرورة تشجيع كل من يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني" .

وهكذا استمر الأستاذ النورسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م وهو ينقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى .. هكذا طوال ربع قرن من الزمان ، ولم يتوقف خلاله من التأليف والتبليغ حتى أصبحت في أكثر من (١٣٠) رسالة ، جمعت تحت عنوان "كليات رسائل النور" التي لم تتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م .

استطاعت رسائل النور بفضل الله سبحانه أن تبني في طول تركيا وعرضها مدرسة إيمانية قرآنية ، أنقذت الناس من التيه والحيرة والصراع والجهل والوقوع في براثن الشرك الجلي والخفي ، ذلك لأنها كانت نابعة من القرآن الكريم وإدراك لطبيعة العصر وحركته وصراعات أفكاره بأسلوب مطابق لروح العصر بفهمه الخاص والعام .

ونورد النص الآتي لينير لنا جانباً من أسلوب رسائل النور المتميزة عن الأساليب الأخرى في عرض حقائق القرآن وترسيخ أركان الإيمان .

"إن معرفة الله المستنبطة بدلائل (علم الكلام) ليست هي المعرفة الكاملة ، ولا تورث الاطمئنان القلبي ، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز ، فإنها تصبح معرفة تامة ، وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب ، نسأل الله العلي القدير أن يجعل

كل جزء من أجزاء (رسائل النور) بمثابة مصباح يضيئ السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم .

وكما أن معرفة الله الناشئة من (علم الكلام) تبدو ناقصة وقاصرة ، فإن المعرفة الناتجة عن طريق (التصوف) أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة المستقاة من القرآن الكريم مباشرة من قبل "ورثة الأنبياء" ، ولقد شبهنا في "كلمات" أخرى من رسائل النور ، لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال :

إنه لأجل الحصول على الماء هناك من يأتي به بوساطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبل ، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا ، ويفجرونه أينما كانوا ، فالأول سيرّ في طريق وعر وطويل ، والماء معرّض فيه للانقطاع والشحة ، وهذا هو مسلك علماء الكلام ، إذ يثبتون واجب الوجود باستحالة الدور والتسلسل غير المتناهي للأسباب .

أما منهاج القرآن الحكيم فهو يجد الماء ويفجره في كل مكان بيسر كامل ، فكل آية من آياته الجليلة تفجّر الماء أينما ضربت – كعصا موسى – وتستقرئ :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم فحسب ، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان ، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء ، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم ، إذا ما دخلت معدة العقل والفهم ، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها – تأخذ حظها منها ، وتمصها حسب درجتها ، فإن كانت فاقدة غذاءً لطيفاً من اللطائف فالمعرفة إذاً ناقصة مبتورة ، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها" .

لبىّ الأستاذ النورسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ آذار (مارس) ١٩٦٠م فدفن في مدينة "أورفا" .. ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره ؛ إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بنبش القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة ، فأصبح قبره مجهولاً حتى الآن لا يعرفه الناس .

تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته .

دراسات وأبحاث :

علم التفسير ، نشأته وتطوره

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمود عالم الصديقي

الباحث والمحاضر الضيف في مركز الدراسات العربية والإفريقية ، بجامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي

علم التفسير هو علم يتناول القرآن ويبحث عن كلماته ويناقشها مناقشة علمية ، ويهدف من ورائها إلى إبراز معانيها ومفاهيمها وإلى كشف القناع عن الأحكام الكامنة في طياتها والعثور على أساليبه البيانية والبلاغية وغيرها ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته : "النظر بالكتاب ببيان ألفاظه هو علم التفسير" ، ويقول الشيخ نجدت نجيب الذي قام بتهذيب التفسير الشهير "الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام السيوطي : "فإن التفسير يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه ، واستخراج حكمه وأحكامه ، واستمداد ذلك إنما يكون من علم اللغة والنحو والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه والقراءات ، أضف إلى ذلك أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، وغير ذلك" (١) .

نشأته :

نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم في الكلام والبلاغة ، فأدرك الصحابة بكونهم عرباً خلصاً القرآن ، وفهموا معانيه ومفاهيمه بمفرداته وتراكيبه ، وسألوا رسول الله ما لم يستطيعوا فهمه من القرآن ، والحق أن القرآن نزل في نحو ثلاث وعشرين سنة ، فكلما نزلت آية أو سورة تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ، وفسر لهم معانيها ومفاهيمها بصورة واضحة ، وإذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن سألوه النبي ﷺ كسؤالهم "كما نزل" ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" ، فقالوا أينا لم يظلم نفسه" ، ففسره النبي بالشرك" ، فكان جميع الصحابة يفهمون القرآن وفقاً لمستوى عقولهم ،

(١) الشيخ نجدت نجيب ، مقدمة التحقيق للدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ٢٠٠١م ، ص/٣ ج/١ .

كما يقول ابن خلدون : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم وبلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه" (٢) ولكن الأستاذ أحمد أمين رد على هذا القول لإبن خلدون قائلاً : مع هذا فلم يكن القرآن جميعه في متناول الصحابة جميعاً يستطيعون أن يفهموه إجمالاً وتفصيلاً بمجرد أن يسمعوه (٣) ، وليس بصحيح ما يقوله ابن خلدون : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم وبلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه" ، لأن نزول القرآن بلغة العرب لا يقتضي أن العرب كلهم يفهمونه في مفرداته وتراكيبه" (٤)

الحقيقة أن في القرآن نوعين من الآيات : نوع من الآيات التي هي محكمة واضحة المعنى ، وهي التي تتعلق بأصول الدين وأصول الأحكام وخاصة منها الآيات المكية التي تدعو إلى أصول الدين كسورة الأنعام ، وهذا النوع من الآيات يستطيع فهمه جمهور الناس ولا سيما من كانوا عرباً بلغتهم ، ولإنهم شاهدوا الظروف التي نزل بها القرآن ، والنوع الثاني من الآيات التي هي غامضة ، ولأجل غموضها تسمى متشابهة ، صعب فهمها ، ولم يصل إلى معرفتها إلا الخاصة ، وكان الصحابة يفهمون هذه الآيات أيضاً ، ولكنهم يختلفون في الفهم على حسب اختلاف أدوات الفهم أو على مستوى رقيهم العقلي ، وذلك ، كما ذكرها أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام بالتفصيل ، وههنا أقدمها بالإيجاز :

١- "إن الصحابة كانوا يعرفون اللغة العربية على تفاوت فيما بينهم ، وإن كانت العربية لغتهم ، فمنهم من كان يعرف كثيراً من الأدب الجاهلي : مثل أبي بكر وغيره ، ويستعين بذلك في فهم القرآن ، ومنهم من كان دون ذلك .

٢- كذلك من كان يلازم النبي ، ويقيم بجانبه ، ويشاهد الأسباب التي دعت إلى نزول الآية ، ومنهم من ليس كذلك ، ومعرفة أسباب التنزيل

(٢) عبد الرحمن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ص/٤٣٨ .

(٣) ليس قول أحمد أمين مما يجب أن يتفق عليه الجميع .

(٤) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص/١٩٧ .

من أكبر ما يعين على فهم المقصود من الآية ، والجهل بها يوقع في الخطأ

٣- كذلك اختلافهم في معرفة عادات العرب في أقوالهم وأفعالهم ، فمن عادات العرب في الحج في الجاهلية استطاع أن يفهم آيات الحج أكثر ممن لم يعرف ، وكذلك الآيات التي وردت في التنديد بمعبودات العرب وطريقة عبادتهم ، لا يكمل فهمها إلا لمن عرف ماذا كانوا يفعلون .

٤- ومثل هذا معرفة ما كان يفعله اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول الآيات ، ففيها إشارة إلى أعمالهم ، و رد عليهم ، وهذا لا يتم فهمه إلا بمعرفة ما كانوا يفعلون من ذلك" (٥) .

خلاصة الكلام أن الصحابة كلهم لا يفهمون القرآن على مستوى واحد ، بل أنهم كانوا مختلفين في فهم القرآن ولا سيما في فهم الآيات المتشابهة ، وهذا الاختلاف في الفهم أدى إلى ظهور علم التفسير بعد وفاة النبي ﷺ ، وذلك عند ما ظهر الاختلاف في فهم القرآن بين الصحابة ، رجعوا إلى الأحاديث المتعلقة بالآية ، فإن وجدوا حديثاً ، قبلوه ، وإلا قاموا باجتهاد بالرأي في ضوء معرفته اللغوية والثقافية وغير ذلك ، وهكذا بدأ علم التفسير ، ثم ظل يخطو خطى واسعة في سرعته حتى صار فناً مستقلاً قائماً بنفسه في العصر العباسي ، ووضعت مؤلفات في ذلك ، وكان المسلمون من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين يتناقلون التفسير شفاها إلى أواخر القرن الأول ، ثم دون التفسير في الصحف ، وكان أول من دون التفسير في الصحف هو مجاهد المتوفى ١٠٤ للهجرة ، ثم اشتغل فيه سواه وهم كثيرون حتى انتهى ذلك إلى الواقدي سنة ٢٠٧ للهجرة والطبري المتوفى سنة ٢١٠ وغيرهما .

ويقول ابن خلدون بصدد ذلك : "كان – القرآن – ينزل جملاً جملاً وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية بحسب الوقائع ، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ، ويكون ناسخاً له ، وكان النبي ﷺ يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ، ويعرفه أصحابه ، فعرفوه سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها ،

(٥) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ملخص من ص/١٩٧ – ١٩٩

منقولاً عنه ، كما علم من قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إنها نعي النبي ﷺ وأمثال ذلك ، ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ونقل ذلك عنهم ، ولم يزل متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ، ودونت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ، ونقل الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك إلى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثال ذلك من المفسرين ، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار" (٦) .

تطوره :

نشأ علم التفسير كفرع من فروع الحديث ، وكان الحديث يشمل جميع المعارف الدينية تقريباً ، فهو يشمل التفسير والتشريع والسير والتاريخ ، وكانت كلها ممتزجاً تمام الامتزاج فراوي الحديث يروي حديثاً فيه تفسير لآية من القرآن ، وحديث فيه حكم فقه وحديث فيه غزوة من غزوات النبي ﷺ وحديث فيه شرح لزمن النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين ، ثم أخذ المؤلفون في آخر العصر الأموي وأول العصر العباسي يجمعون الأحاديث المتشابهة المتعلقة بموضوع واحد ، ويفصلونها عن غيرها ، ويرتبون أبوابها ، كما فعل مالك في الموطأ ، فقد جمع أحاديث الأحكام ورتبها ، كما فعل محمد بن إسحاق ، فقد جرد الأحاديث المتعلقة بالسير ، وزاد عليها غيرها من أشعار قيلت وأخبار رويت ، وكون من ذلك كله "السيرة النبوية" ، كذلك فعل أوائل المفسرين في علم التفسير ، فجردوا جميع الأحاديث المتعلقة بالقرآن أو الواقعات المتعلقة بأسباب نزول الآية وغيرها .

وما روي من رسول الله ﷺ في التفسير فهو قليل جداً ، حتى روى عن عائشة أنها قالت : "لم يكن النبي يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات تعد ، علمهن إياه جبريل" (٧) فلما جاء الصحابة رضي الله عنهم فسروا آيات من القرآن أنفسهم أو سماعاً عن رسول الله ﷺ ، وشرحوا في كثير من الأحيان

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ص/٤٣٩ .

(٧) تفسير الطبري ، وضحى الإسلام ، ج/٢ ص/١ .

أسباب نزول الآية وفيمن نزلت ، واشتهر بين الصحابة في علم التفسير الخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري ، وأشهرهم وأكثرهم جرأة على علم التفسير وهو عبد الله عباس (رضي الله عنهم جميعاً) ، وهو الذي دعا له رسول الله "الهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل" ، وإن ابن عمر رضي الله عنهما يتهمه بالجرأة على تفسير القرآن في بداية الأمر ، ولكن رجع عن قوله فيما بعد ، كما يقول عبد الله بن دينار بهذا الصدد : "إن رجلا يسأل ابن عمر رضي الله عنهما عن قوله تعالى : ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ "فقال ! إذهب إلى ذلك الشيخ ، فسله ، ثم تعال ، فأخبرني ، فذهب إلى ابن عباس ، فسأله ، فقال : كانت السموات رتقاء لا تمطر والأرض رتقاء لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات ، فرجع الرجل ، فأخبر ابن عمر ، فقال : لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً هكذا ، لقد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً" (٨) فكان يكثر من تفسير القرآن حتى إنه اشتهر بترجمان القرآن ، وقال ابن المسيب : "ابن عباس أعلم الناس" ، بالرغم إلى هذه الحقيقة فإن كثيراً من العلماء للجرح والتعديل قالوا كل ما يروى عن ابن عباس فهو ليس منه ، بل اختلقه المختلقون ونسبوه إليه ، كما يقول أحمد أمين : "قد روي عن ابن عباس ما لا يحصى كثرة ، فلا تكاد تخلو آية من آيات القرآن إلا لابن عباس فيها قول وأقوال ، وكثر الرواة عنه كثرة جاوزت الحد ، واضطرت النقاد إلى أن يتتبعوا سلسلة الرواة فيعدلوا بعضاً ويجرحوا بعضاً" (٩) .

ثم جاء التعابعون فرووا كل ما ذكره الصحابة من هذا القبيل أي من التفسير ، وكان كثير من التابعين أنفسهم من فسر بعض الآيات ، أو ذكر سبباً لنزولها ، إما اجتهاداً منه أو سماعاً ، هكذا ظل التفسير يتضخم طبقة بعد طبقة ، حتى جاءت الخطوة الثانية في التفسير وهي تجريد ما ورد في الحديث المرفوع والموقوف من التفسير ، وقد عني بذلك قوم من التابعين ، اختص كل جماعة تجمع تفسير عالم مصرهم ، فعني المكيون

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مكتبة مصر ، ص/٤٤٦ ج/٢

(٩) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ٢٠٣

برواية ما ورد من التفسير عن ابن عباس كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، و عني المدنيون برواية ما ورد من التفسير عن زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأبي بكر وعمر وعثمان ، كسعيد بن المسيب ، وعنى الكوفيون برواية كل ما ورد من التفسير عن ابن مسعود وعلي بن أبي طالب كعلقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد وإبراهيم النخعي والشعبي وغيرهم ، واستمرت هذه السلسلة الذهبية حتى جاءت طبقة جمعت أقوال الصحابة والتابعين في الأمصار المختلفة ، وشأنهم في ذلك كشأن المحدثين ، فقد بدأوا أولاً أهل مصر كل أهل مصر يجمعون حديث مصرهم ، ثم رحلوا إلى الأمصار المختلفة يجمعون أحاديثها ما روي في التفسير وغيرها ، واشتهر في هذه الطبقة سفيان بن عينية المتوفى ١٩٨ للهجرة ووكيع بن الجراح المتوفى ١٩٦ للهجرة وشعبة بن الحجاج وإسحاق بن راهويه ، وهؤلاء جميعاً كانوا من أئمة الحديث ، ولكن كل ما جمعوه فيه باب للتفسير أيضاً .

ثم جاءت الخطوة الثالثة وهي انفصال التفسير من الحديث وعده علماً قائماً بنفسه ، فوضع التفسير لكل آية من القرآن أو جزء من آية قرآنية حسب ترتيب المصحف ، وقد اشتهر في هذا الباب جملة من التفاسير منها تفسير ابن جريج ، وقد كان شأنه شان المحدثين الأولين يجمع ما وصل إليه من صحيح وغير صحيح ، ومنها تفسير السدي المتوفى ١٢٧ للهجرة ، وقد أورد فيه ما نسب إلى ابن مسعود وابن عباس وأناس من الصحابة ، ومنها تفسير مقاتل بن سليمان المتوفى ١٥٠ للهجرة ، ومنها تفسير محمد بن إسحاق ، ذكر فيه أقوالاً لوهب بن منبه وكعب الأحبار وغيرهما من الرواة عن اليهودية والنصرانية ، ومنها تفسير ابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ من الهجرة ، ولم تصل إلينا هذه التفاسير إلا تفسير ابن جرير الطبري ، وهو أروع التفاسير وأكملها وأشملها ، قد وضعه ابن جرير الطبري المحدث والمؤرخ والفقيه في ثلاثين مجلداً ، وتفسير الطبري المسمي بـ "جامع البيان في تفسير القرآن" يشمل كثيراً من الأحاديث المسندة الصحيحة والمباحث اللغوية والآراء القيمة ، وهو تفسير يشمل كل ما كانت التفاسير المتقدمة مشتملة عليه من الأحاديث والآراء القيمة والمباحث اللغوية ، فهو تفسير يمثل جميع التفاسير التي ألفت قبل ، تمثيلاً رائعاً ، حتى حذا حذوه من جاء من المفسرين .

(يتبع)

❖❖❖❖

المدارس الإسلامية ومسؤولياتها

بقلم : الأستاذ محمد سلمان الكوثري
رئيس مجلس العلماء "الكوثر" – كيرالا

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ومن حذا حذوه – أما بعد :

فإن المدارس الدينية نشأتها على هدف إشاعة الإسلام الكامل والهدي الصالح للبشرية قاطبة ، وتنشئة جيل جديد على عقيدة التوحيد الخالص والرسالة المحمدية الأبدية والدار الآخرة وحياتها السرمدية السعيدة أو الشقية ، وتكوين البشرية كلها على صورة إنسان كامل يحمل جميع الآداب والمحاسن والمصالح المرضية المحبوبة عند جميع من له ذوق سليم وفكر سديد ، منعكساً عن السيرة الطيبة المحمدية صلوات الله وسلامه على صاحبها ، حتى يكون كل من يدعي الإسلام مثالاً رائعاً وشكلاً حسناً كاملاً للملة الإسلامية الحنيفية السمحة ، ولا يستطيع أحد الوصول إلى هذا الهدف السامي إلا بالحصول على العلم الصحيح التام الذي نبع من الوحي الإلهي والمشكاة النبوية .

فإن العلم أصله ومنبعه – أي علم كان دينياً أو مادياً علوياً أو سفلياً دنيوياً أو أخروياً ، عصرياً أو أبدياً طبيعياً أو إلهياً – ذات الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي علم الخلق جميع أصناف 'لعلوم – لأنه هو خالق الكون والكائنات ، ومدبر الأرض والسماوات ، ومنزل الكتب والديانات ومنشئ العادات والعبادات والأخلاق والأهواء والملكات ، ومدير الأفلاك والذرات وموجد الأسباب والمسببات ، فإليه علم جميع المخلوقات ، فكل ذرة من ذرات هذا الكون واضحة عند الله تعالى الذي هو علام الغيوب والشهادة ، وحقائقها مكشوفة لديه جل وعلا : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الأنعام الآية/٥٩) .

ولما خلق الله آدم عليه السلام وجعله خليفة في الأرض شد على

كاهله أعباء الإنسانية وحمله ثقافة البشرية – أودع ذهنه العلوم التي لا بد منها في إنشاء مجتمع صالح وإقامة حضارة مستقلة سامية وتسخير المخلوقات كلها في سبيله – ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة الآية/٣١) يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة : إن الله علم صفات الأشياء ونعوتها وخواصها ثم علم بعده الأنبياء فنوناً من العلم والحكمة حسبما تقتضيه حاجات قومهم وزمانهم يقول الله تعالى حاكياً عن الأنبياء ما علمهم – واحداً بعد واحد – صنوف العلم وفنون الحكمة ، عن نوح عليه السلام ﴿وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (سورة هود الآية/٣٧) وعن إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ (سورة مريم الآية/٤٣) وعن لوط عليه السلام ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ (سورة الأنبياء الآية/٧٤) وعن يعقوب عليه السلام ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ (سورة يوسف الآية/٦٨) وعن يوسف عليه السلام ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ (سورة يوسف الآية/١٠١) وعن داود وابنه سليمان عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ (سورة النمل الآية/١٥) وعن سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ و ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (سورة طه الآية/١١١) إلى غير ذلك من الآيات المتعددة التي تدل على أن منبع العلوم وأصلها – ذات الله جل وعلا ، وأن الله هو المعلم الحقيقي للبشرية بأجمعها ، وأن ما يعلم الله لخلقه كاشف وموضح عن مخلوقاته وعن أوامره ونواهيه المتعلقة بجميع العالم وليس فيه تميز علم عن علم وفن عن فن ، ولكن العلوم كلها موصلة عالميها إلى معلميها وجاذبة إلى مربيها .

وعلوم الأنبياء والرسل وخاصة علوم الرسول الأكرم ﷺ شاملة لجميع صفات علوم الله عز وجل مشتملة على خواصها كلها ، فلذلك نرى كل من تخرج من مدرسة الرسول ﷺ كائناً ما كان – مثالاً كاملاً للإنسانية الكاملة وصورة حسنة براقة للداعية المثالي أينما كانوا وعند من كانوا – نرى كلهم يتقدمون في مجال الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض ونواحي دول العالم كلها كيفما كانت عادات سكانها ومدى تهذيبها وخسة حضارتها ودناءة أخلاقها ومهارة علومها وفنونها وكثرة ثروتها ومادتها – لا يكون شيئ منها مانعاً في طريقهم وحاجزاً عن مسئولياتهم – وبذلك فشا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ودخل شمالها وجنوبها ،

وعلى هذا المنوال أسست المدارس الدينية والمعاهد الإسلامية قرناً بعد قرن ، تخرج منها دعاة الإسلام بوصف كامل وجهاز تام لقبول التحديات الواردة ضد الإسلام وإشاعته وتصدوا بنفس وقور وقلب هادئ تجذب القلوب المتفتتة بعقائد فاسدة باطلة خبيثة تنفر القلوب وتمجها الأسماع – وحضارات منكرة وأخلاق سيئة متنفرة – إلى العقائد الصحيحة المستحسنة والحضارة الإسلامية الجادة والعادات والأخلاق المرضية المعطرة .

وهذا – ما تيسر لهم – ليس بصرف العلوم المادية العصرية – بل كانوا على علم واسع مليئ استقادوا من العلم الإلهي الأصلي وارتووا من بحار علوم النبوة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه .

وعلى سبيل المثال – بين أظهرنا – مدارس عديدة ومعاهد كثيرة تسير على هذا المنهج النبوي وتقوم بأعماله ووظائفه السديدة المتنوعة – جامعة دار العلوم بديوبند التي تعد من أكثر جامعات دول آسيا – وجامعة ندوة العلماء بلكهنؤ من أشهر جامعات العالم ومدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ، إلى غير ذلك من المدارس التي أسسها علماؤنا الكرام ومشايخنا الفخام عند ما كانت دعوة الإسلام تنتظر ختامها والمسلمون معظمهم غسلوا أيديهم عن دين الإسلام وصاروا أسارى حضارة الغرب وعباد العلوم العصرية ، فأنجبت هذه المدارس رجالاً فازوا في ميدان العلم وفاقوا أقرانهم من علماء العصرية وجاءوا بشيء عجيب في الفنون والحكم –تحيرت به العقول ودهشت القلوب – وتمثلوا بين الأقوام أبطالاً لا تقابل في فنون العلم فلسفة ورياضة وحكمة وهندسة وهيئة وميقاتاً وفلكية وطبعية وعنصرية وطبية وأدبية على ما جمعوا من علوم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك من فنون العلم الدينية حظاً وافراً وبحراً زاخراً لا يدرك ساحله ، فشمروا عن ساق الجد بين أولئك الأقوام فزالت شبهاتهم وزاحت ظلماتهم وأيقنوا الحق فتابوا إلى اعتناق الإسلام من جديد والرجوع إلى طريق سديد .

هذا ولكن الأسف بعد ما تفرق هذا العلم بعد زمان وانقسم إلى الديني والعصري ، فضاق ميدان العلم الديني إلى ما يتحصل به السعادة الأخروية وليس له تعلق ولا ربط بالدنيا وحوادثها وعوارضها ولا بما يقع ويوجد فيها بسرعة خارقة ، فالمشتغلون بالعلم الديني في عمى وعمه عن

الدنيا التي يسكنونها وعن الكائنات التي يقتحمونها ولا يوجد منهم لفتة إلى ما يتلبس فيه أهلها وعائشوها فهم يشغلون عالماً آخر ، وأما العلوم العصرية فبعدت عن الدين وانعزلت عن الأخلاق ونسيت وجحدت خالق الكائنات ، وربما انطلقت عن الإنسانية واتصلت بالحيوانية والمشتغلون بها يرون الدين وأهله وأحكام الشريعة ولازميها عبثاً مهملاً لا توافق هواهم ولا تحقق طلباتهم ولا تقدر على مسايرة متطلبات العصر ولا تلائم التكيف مع السير في ركاب التقدم الحضاري ، وإن العلوم الدينية إذا وافق عليها القوم تخلفوا في ميدان الحياة عن معاصريهم وتأخروا عن التقدم والارتقاء ألوف السنين – حتى ظنوا بهم أنهم على أوج الارتقاء وأنهم سبقوا قومهم بالتحصيل على العلوم العصرية والتحقوا بالمرتقين آفاق السماوات من الغربيين والأوربيين – مع أنهم في حضيض الانحطاط وورطة الهلاك – فاتخذوا أهل العلم الديني سخرية وهزوءً ونظروهم بعين الاحتقار والاستصغار .

وما هذا الانقسام إلا عن حيلة خبيثة خبيثة – وقد فرق ذلك العلوم وقسمها وشقها بين فئتين بعيدتين – قوم – ليس لهم عقل سوي ولا فهم صحيح – حملهم على ذلك سوء مرادهم وسوء مقصدهم وغرضهم – قوم مناهم تمزيق الشعوب وتفريق المجتمع وهتك الحرمة واستصال أهل الإسلام وتحقير الأخلاق والآداب الحسنة وتشويه الدين وتحرير الرجال والنساء عن ربقة الإيمان واليقين وتركهم في ظلمات الوهم والشكوك وتنزيلهم من مرتبة الإنسانية السامية إلى منزلة الحيوانية الساقطة ، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ، إن أهل هذه الحيلة الخبيثة هم أهل العداء للإسلام والمسلمين وأصحاب نظرة وفكرة رديئة متنوعة – تسيطر عليهم نظرات المادية الأوروبية والغربية القديمة والجديدة مثل نظرة الداروينية والماركسية والطبيعية والعلمانية والرأسمالية والاستعمارية والديمقراطية والشيوعية والاشتراكية إلى غير ذلك .

فهذه النظرات كلها – على تباين أسمائها ومصطلحاتها قائمة على هدم تعاليم الدين الإسلامي وهويتها ونشر النفور عن قيود الدين عقائد الإسلام وأحكامه في قلوب الجيل الناشئ وتحرير الشاب المسلم عن وارتباطاته حتى يكون همهم الحياة الدنيوية الحقيرة الفانية ومطمح نظرهم

الحصول على الشهوات واللذات من غير قدح ونكير وجمع الأموال الكثيرة من أي وجه شاءوا ومن أي سبيل سلكوا وتبذير هذه الثرورة المتكاثرة في وجوه توافر أهوائهم واستفراغ شهواتهم من غير حد ولا حصر ، فهم هائمون حيارى في صحارى النفسانية وخائضون غرقى في لجج الشيطانية .

فهؤلاء أصحاب الفكرة المتنوعة المعادية للإسلام وأهله على رأسهم اليهود والنصارى الغربيون والأوربيون – سلكوا كل مسلك للضلالة وصعدوا الصعب والذلول من الغواية وأخذ بأيدي الحيارى كل سهر ووعر ، حتى استولى عليهم النفور من الدين وحشى قلوبهم فكرة التحرير والإنطلاق عن الدين كله كي يتيسر لهم الانطباق والإتفاق مع الحضارة الغربية الدنسة البشعة ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (سورة البقرة الآية/١٢٠) .

وبدلوا نظام التعليم لكي يتحصلوا على مقصدهم وشكلوا نظاماً ونصاباً جديداً لا يوافق في شيئ من طوره تعاليم الإسلام ولا نظامه وخُيل لديهم أنهم في أوج التقدم حيث خلعوا ربقة الإسلام وانطلقوا عن قيوده – ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (سورة النمل الآية/٢٤) و ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (سورة محمد الآية/٢٥) وبين لهم أنهم على علم من أعلى العلوم وأرقاها وكافل لهم في حياتهم جميع حوائجهم ومسائلهم فرضوا واطمأنوا وتسارعوا إلى هواهم وساروا بعيراً بلا لجام ولا عنان فلم يتيسر لهم لفتة إلى مبدئهم ومعادهم ولا إلى خالقهم ومولاهم ولا إلى أسرتهم وقبائلهم فهم في مسيرهم عدموا الفكرة الصحيحة وفقدوا النظرة القويمة فلم يعلموا أن الإنسان إذا تعلم أي علم من العلوم والفنون فلا بد من ربطه بربه سبحانه وتعالى والمعارف الإلهية حيث إنه هو الذي فتح أبواب العلوم والفنون على بني آدم – وإذا حصل هذا الارتباط تكون العلوم نافعة في حياته ودنياه وآخرته ، وليعلم أن نظام التعليم الإسلامي ونظريته وتشكيل نظام كامل للحياة إنما هو من الدين الوحيد لجميع الإنسانية ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (سورة آل عمران الآية/٨٥) لن يحصل الإنسان على فلاح الدارين إلا بالإسلام فإن الدعائم الأساسية التي يقوم عليها النظام الإسلامي هي عقيدة التوحيد

والرسالة والآخرة والخلافة ووحدة بني آدم والأخوة والمساواة والحرية ، ولا تعلم ولا تدرس هذه الدعائم الأساسية بوجهها الكامل إلا في المدارس الدينية الإسلامية ، فأهل المدارس الدينية هم أهل الوفاء بالعلم بأسباب فلاح الدارين ، فوظيفتم ، أول كل شيئ إشاعة هذه الدعائم بين أبناء العالم ، خاصة بين الشباب الناشئ في المدارس والجامعات العصرية لأنهم من أنفسنا ومن أهلنا وعيالنا وأسرتنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ (سورة التحريم الآية/٦) .

فعلى أهل المدارس الإسلامية أولاً ، إنقاذ الأمة الإسلامية من الوقوع في حفرة المناهج العلمانية والشيوعية في التعليم وتشكيل نظام جديد ، وأن يصاغ النظام التعليمي صوغاً جديداً يلائم عقائد الأمة الإسلامية ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها وأن يشمر عن ساق الجد لإقامة مدارس وجامعات للعلوم العصرية إسلامية العقيدة موافقة لإنشاء الحياة الدينية معرفة بأن العلوم كلها من الله سبحانه وأن العلوم والفنون كلها مربوطة بالخالق جل وعلا وأن فائدة كل العلوم والفنون وغاية مقصدها الوصول إلى المربي الحقيقي ومعرفته ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة فصلت الآية/٥٣) ، وأن أي علم لا يكون حائلاً ولا حاجزاً عن السعادة الدنيوية والمعائش الواسعة الراضية ولا عن السعادة الأخروية الباقية الأبدية ، فأهل المدارس الدينية هم القائمون بهذه المسئولية العظيمة وعلى كاهلهم أعباء هذه الوظيفة .

أما تشكيل نظام جديد موافق للنظام الإسلامي أو بتغير النظام وتبديليه إلى وجه موافق – أو بإنشاء نصاب جديد لتعليم الدعائم الإسلامية أو بإنشاء مدارس وجامعات عصرية تحت إشراف اللجنات والهيئات القومية ، ومع ذلك كله لا بد أن يكون خريج المدارس الدينية عالماً بحاجات البشرية ومطلعاً على حوادث العصر وواقفاً على فنون المجتمع ولا يكون ضرير البصر عما يقع في العالم الذي يسكنه ولا عديم المتاع الذي يطلبه الناس عنده من فكرة حديثة يطبق القواعد والأحكام الإسلامية بالعقل السليم والفهم الصحيح ، فهذا هو الحل الوحيد عن هذه المشكلة إن شاء الله ، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

علي أحمد باكثير

أضواء على حياته ودراسة لبعض أعماله

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور عبيد الرحمن طيب

الأستاذ المشارك ، جامعة راجوري ، ولاية جمو وكشمير

المسرحية :

كتب باكثير مسرحيات نثرية وشعرية كلتيهما ، بدأ حياته الأدبية بكتابة المسرحية الشعرية وأول مسرحية شعرية له هي "همام في بلاد الأحقاف" ، ثم ترجم مسرحية شيكسبير "روميووجوليت" إلى الشعر العربي ، وتابع مسيرته حيث كتب "اخناتون ونفرتيتي" و "قصر الهودج" و "حرب البسوس" ، وأثناء ذلك أحس باكثير بأن النثر أكثر ملائمة لكتابة المسرحية في العصر الحديث فبدأ كتابة المسرحية بالنثر .

كتب باكثير المسرحيات الماساوية والمسرحيات الكوميدية فمثال الأولى "سر الحاكم بأمر الله" والثانية "مسمار جحا" .

وبالنسبة لموضوعات مسرحيات باكثير فهي متنوعة : اجتماعية ، وأخلاقية ، ودينية ، وحضارية وسياسية وتاريخية ، كان باكثير يعتبر تاريخ مصر القديم وحضارتها ومآثرها جزءاً من التاريخ الإسلامي ويفتخر به ، وبرز كرائد للقومية العربية والاتحاد العربي والإسلامي ، ويؤمن بأن ترويج ونشر اللغة العربية الفصحى فيه ضمان بقاء الأمة العربية ووحدتها وخلودها ، وقضية فلسطين كانت تسيطر على نفسه وروحه ، ويقف للقيم والمثل الإنسانية والإسلامية فكان حياته ومماته وقفاً لها .

ويقول أنورالجندي الأديب المصري الشهير : "باكثير صور صورة فلسطين في ثلاث مسرحيات له وكشف القناع عن مؤامرات اليهود

ومخططاتهم ضد فلسطين والعرب وتكهن عن مستقبلهم ، هذه الكتب الثلاث هي : "شيلوك الجديد" ، "شعب الله المختار" ، و "إله اسرائيل" ، (ثم كتب اثنتين أخريين هما "التوراة الضائعة" و "ملك أوديب") ، وأضاف : "وما زلت أذكر وقد أتيحت لي فرصة واسعة في صيف العام الماضي للإلتقاء بهذا الأديب الإنسان أن استكشف جوهر نفسه ، فهو ثمرة ضخمة من ثمار المدرسة الوسطى الإسلامية العربية التي استطاعت أن تجمع بين العروبة الأصيلة والتراث الإسلامي والثقافة العصرية الحديثة ، يمزج بينها مزجا خليقا بالإعجاب والتقدير ، قوامه الإيمان بالعروبة والإسلام معا ، والعمل بهما معا والالتزام بقيمهما ، والمواجهة لتحدياتهما" (١) .

وأحسن باكثير في كتابة المسرحيات الاجتماعية ، ومنها "الدنيا فوضى" ، "السلسلة والغفران" ، "قطط وفيران" وغيرها ، ومنحت له الجائزة على الإثنتين الأخيرتين ، وكلها تنبض حيوية وحرارة وتتمتع بعمق المعنى وكثافة الإيحاء ، والحوار فيها حلو ممتع شيق ، وتتزود بعناصر التشويق والإثارة ، وقام الدكتور مصطفى بدوي بتحليل مفصل لمسرحياته ، يقول عن مسرحيته "قطط وفيران" إن ميزتها الكبرى هي نهايتها السعيدة السارة ، وقد قام عادل وسامية بانقاذ هاتين النفسين المتحابتين من مأساة محققة باخلاصهم وتضحياتهم ، ونفخ روح الإيمان والثقة حيث بدآ يعيشان من جديد عيشة هنيئة سعيدة ، ومن الممتع والمثير للضحك أن الشيخ والشيخة الدكتور راضي ونفيسة هانم - وهما أولياء أمورهما - يتزوجان في النهاية ، ويقول البدوي إن لغتها سلسة عذبة وفصيحة ، لا تكلف فيها ولاصنعة ، وكل الشخصيات فيها تتقدم إلى الأمام بصورة واقعية طبيعية ، إلا أن عادل في نهاية المطاف يغيرعزمه بصورة مفاجئة الذي يبدوعملا مستعجلا" (٢) .

---

(١) علي أحمد باكثير في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ص/٥٧ – ٥٨ .

(٢) Modern Arabic Drama in Egypt: M M Badawi, Cambridge University Press, Cambridge, U.K. 1987 Page no. 124-125 .

لم ينس باكثير بيئته وجوّه الذي كان يتنفس فيه ولا التطورات والحوادث التي كانت تحصل حوله ، فقد كتب مسرحية كوميدية "جلفدان هانم" انتقد فيها المجتمع وأحواله السائدة فيه بصورة ساخرة لاذعة وأزاح الستار عن المساوئ والنقائص والنفاق والكذب الموجودة المتغلغلة في المجتمع ، وعلى نفس المنوال كتب مسرحيات أخرى مثل "حبل الغسيل" و "السلسلة والغفران" وغيرها ، إلى جانب ذلك كتب باكثير الملهاة مثل ابودلامة ومسمار جحا وأثبت للناس أن باكثير له براعة تامة في استخدام الأسلوبين الجاد والفكاهي كليهما .

وقد كتب باكثير مسرحية "هاروت وماروت" أبرز فيها دور قوة الانسان وإرادته الصلبة ، في المقاومة ضد نوازع الطمع والحرص والرغائب النفسانية .

كذلك كتب باكثير عددا من المسرحيات يتناول موضوعات قد عالجها الأدباء في لغات مختلفة سابقا ، إلا أنه في معالجته ليس بمحض ناقل بل استخدم أسلوبا جديدا وأتى بتفسيرجديد ، ومثال ذلك "مأساة أوديب" و "سرشهرزاد" ، فالأولى منهما مسرحية سوفوكليس العالمية الشهيرة والثانية هي قصة شهرزاد من ألف ليلة وليلة ، والقصة الأخيرة الذكر تحكي أن الملك رأى يوما عبدا حبشيا مع زوجته الحبيبة في مخدعه مما أثارغضبه فقتل العبد وزوجته على الفور ، ثم استقرت في نفسه الكراهية والبغض والنفور من جنس المرأة وبدأ يأخذ الثأر عن طريق الزواج كل يوم من بكر والاستمتاع بها ليلا وذبحها صباحا ، ويستمر العمل ، يمارس هذا العمل إلى ان تدخل في حرمه بنت وزيره شهرزاد التي كانت تتمتع بذكاء خارق وعقل نادر ، اختطت شهرزاد طريقة غريبة لانتشال نفسها من الورطة ، إنها بدأت تحكي القصص الممتعة الشائقة الآخذة باللب للملك ، كانت تشرع في الحكاية في أول الليل وتنتهي منها في آخره وذلك بطريقة يبقى معها فضول الملك وعطشه للمزيد ، وهكذا انها قصت على الملك ألف قصة وأنقذت بنات جنسها من براثن الموت ، هذه هي خلاصة القصة الشائعة ، ولكن أتى

باكثير بتفسيرجديد ويقول : إن الملك كان يعاني من ضعف جنسي لايكاد يفي بحق الزوجة ويقنعها بقوته الجنسية فخاف من أن يشيع منها هذا الضعف في القوم ويسوء ذكره ، فإخفاء على ذلك إنه كان يقتل عذراء كل ليلة ولما دخلت بنت الوزير شهرزاد وعلمت السبب ، احتالت ودبرت له العلاج النفسي والطبي حيث لم يعلم أحد واستعاد الملك قوته الجنسية وتمتع بزوجته الجديدة الجميلة الذكية، وهكذا انقذت شهرزاد مئات البنات من براثن الموت (٣) .

قام الدكتورمحمد مندور بدراسة مقارنة للمسرحيات حول هذا الموضوع وأعرب عن إعجابه بمسرحية باكثير "سرشهرزاد" واعتبرها من أحسن المسرحيات ، علماً أن توفيق الحكيم كتب مسرحية باسم "شهرزاد" وكتب عزيزأباظة مسرحية شعرية تسمى بـ "شهريار" وكتب طه حسين رواية "أحلام شهرزاد" ، يقول الدكتور : "وبمقارنة هذه المسرحيات الثلاث ، نحس بأن مسرحية باكثير أكثرها درامية وتشويقا في الأحداث ، ومسرحية عزيز أباظة إقناعا وأما مسرحية الحكيم فأكثرها غنى بالمعنى والإيحاءات الذهنية وأكثرها سبحا في جو الشعر" (٤) .

بعض أفكار وآراء باكثيرعن المسرحية:

في عام ١٩٣٣ سنحت فرصة جميلة لباكثير للتعرف على الأدباء والشعراء ، وذلك أثناء قضاء صيف في الطائف حيث كانوا يجتمعون ويعقدون المجالس الأدبية ويتذاكرون الشعر والأدب ، فتعرف على أدباء وشعراء مصر وأعجب منهم خاصة بأحمد شوقي وحافظ ، ولما قرأ مسرحيات شوقي أحس بأن هناك مجالا آخر للشعر والأدب ، وكأنما

(٣) سر شهر زاد : علي أحمد باكثير ، مكتبة جودة السحار ، الفجالة ، القاهرة ، مصر .

(٤) مسرح توفيق الحكيم : الدكتور محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ص/٦٣ .

وجدت روحه الهائمة ضالته المنشودة في مسرحيات شوقي وشعره ، واتباعاً لمنهجه كتب مسرحية "همام في بلاد الأحقاف" ، هي أول مسرحية شعرية كتبها باكثير.

وبعد وصوله إلى مصر في عام ١٩٣٤م التحق باكثير بقسم اللغة الإنكليزية بجامعة فؤاد الأول (جامعةالقاهرة حاليا) ، للحصول على شهادة الليسانس في الأدب الانكليزي ، ودراسة الأدب الإنكليزي وخاصة مسرحيات شكسبير فتحت له آفاقا جديدة للتفكير والعمل ، ويقول عن تجربته هذه : "فقد غيرت هذه الدراسة من نظرتي لمفهوم الأدب كله ، فأخذت أعيد النظر في المقاييس الأدبية التي كانت عندي من أثر ثقافتي العربية ، ويهمني هنا أن أخص بالذكر ما يتعلق بدراسة المسرحية فقد انجذب قلبي إليها أكثر من انجذابي إلى غيرها من فنون الأدب الأخرى كالقصة والأقصوصة والملاحم والشعر القصصي ، وكان يستهويني بوجه أخص أعمال شكسبير ، ولعل مرجع ذلك – بالإضافة إلى مكانته المعروفة في هذا الفن – أنه شاعر وأنا كنت إذ ذاك ما زلت أعتبر الشعر ميداني الأول فلا غرو أن أفتتن بشكسبير باعتباره يجمع بين الفن القديم الذي أحبه وهو الشعر وبين هذا الفن الجديد الذي بدأت أكتشف في نفسي الاستجابة إليه وهو فن المسرحية (٥) .

وفي هذه الفترة بالضبط وقع حدث أضرم في نفسه الهائمة النار لكتابة المسرحية الشعرية باللغة العربية ويحكي باكثير : "واتفق في ذلك الحين أن حدث حادث في مقاعد الدرس كان له أثر كبير في دفعي إلى التعجيل بهذه المحاولة ، وخلاصته أن أحد مدرسينا الإنجليز تحدث ذات يوم عن الشعرالمرسل وكيف أن اللغة الإنجليزية اختصت بالبراعة فيه والتفوق على سائر اللغات وكيف أن الفرنسيين حاولوا محاكاته في لغتهم فكان

(٥) فن المسرحية : علي أحمد باكثير ص/٦ – ٧ .

نجاحهم محدودا ، ثم قال : ومن المؤكد ألا وجود له في لغتكم العربية ولايمكن أن ينجح فيها فاعترضت عليه قائلاً : أما إنه لاوجود له في أدبنا العربي ، فهذا صحيح لأن لكل أمة تقاليدها الفنية وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية .

ولكن ليس هناك ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر ، فاكتفى بأن أعرض عني وشعرت عندئذ بأن علي أن أتحدى هذا الزعم وأدحضه بالبرهان العملي ، وانصرفت من الدرس ، وقد ملك علي هذا التحدي كل أمري ، فبدا لي أن خير ما أبدأ به في هذا السبيل هو أن أترجم فصلا من شيكسبير على هذه الطريقة فذلك أجدر أن ييسر له هذه التجربة وأعون على النجاح.

وأحب أن أذكر لكم هنا بين قوسين أنني قد سبق أن ترجمت له فصولا من مسرحيته (الليلة الثانية عشرة) ، ولكن على طريقة الشعر المقفى المألوف ونشرت بعض ذلك في مجلة الرسالة (رسالة الزيات) ، وهذا بالطبع يختلف عن المحاولة الجديدة التي بين يدي ، وكنا في تلك السنة ندرس مسرحية "روميو وجوليت" فلا غرو إن وقع اختياري عليها فاخترت مشهدا من مشاهدها وبدأت أفكر في ترجمته فاتفق أن جاء الوزن في بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعول) دون أن أعي ما ينطوي عليه ذلك من الدلالة ، ثم مضيت في عملي مرسلا نفسي على سجيتها في اختيار ما يناسب المقام من البحور والأوزان فاكتشفت بعد لأي أن البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل ، لا تلك التي تتألف من تفعيلتين مختلفتين كالسريع والخفيف والبسيط والطويل فإنها لا تصلح" (٦) .

وهذه هي الفترة التي ترجم فيها باكثير مسرحية شيكسبير" روميو

(٦) فن المسرحية : علي أحمد باكثير ص/٧ – ٩ .

وجوليت" بالشعر المرسل وهواليوم يعرف بـ "الشعر الحر" وهكذا أصبح باكثير رائد الشعر الحر في الأدب العربي ، وقداعترف بذلك بدرشاكر السياب .

يخطو باكثير إلى الأمام في كتابة المسرحية ومن خلال تجاربه وسعة دراسته انكشف له أن النثر خير للمسرحية في هذا العصر ، وأما الشعرفهو يلائم أكثر للمسرحية الغنائية أى الأوبرا ، إذ أنها تلحن وتغنى وقام بتجربته في مسرحيته "قصر الهودج" التي كتبها بعد "اخناتون ونفرتيتي" ، وحاول في قصرالهودج أن توجد فيها الموسيقى ، لكي يمكن أن تلحن ولذا لم يلتزم فيها ببحرواحد بل استخدم بحورا مختلفة حسب الحاجة ، وكذلك استخدم القوافي المتنوعة ليزداد موسيقى وغناء .

وقد ترك باكثير كتابة المسرحية الشعرية بعد ذلك وتوجه الى كتابتها بالنثر ، وكتب عددا كبيرا من المسرحيات ، أولا كتب المسرحيات المأساوية ثم الكوميدية ، ولكن قبل الشروع في الكوميدية كتب تمثيليات كثيرة ، وقد نفعه ذلك من ناحيتين أولا أحس بأنه يمتلك روح الفكاهة والمرح والقدرة على معالجة القضايا السياسية في المسرحية ، ويكتب باكثير عن هذه التجربة :

"ثم إن هذه تجربة هامة في حياتي المسرحية ينبغي أن أقف عندها طويلا إذ كانت هذه التمثيليات القصيرة نقطة تحول عندي من ناحيتين : الأولى : أنها كانت بداية اكتشافي للنزعة الفكاهية عندي ، مما شجعني بعد ذلك على كتابة الملهاة الطويلة ، والثانية : أنها كانت بدء عهدي بعلاج القضايا السياسية في المسرحية" (٧) .

(٧) المصدر السابق ص/٣٢ – ٣٣ .

*****

صور وأوضاع:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

لقد تقدمت وسائل العلم والمعرفة في هذا العصر ، وانتشرت في البلدان التي كانت متخلفة في هذا القطاع ؛ فكانت تعتمد على مراكز العلم والمعرفة في الغرب ، بالتوجه إلى الغرب ، أو باستخدام خبرة خبراء الغرب في مختلف مجالات المعرفة والاستفادة منها محلياً ، وقد استغنت بعض هذه البلدان عن الخبرة الأجنبية ، وأحرزت الاكتفاء الذاتي ، وتقدمت في التكنولوجيا والبحوث الطبية ، وأصبحت تجذب رواد العالم إليها والاستفادة من تجاربها .

وبهذا التقدم تبدو بعض المدن الكبرى أشباه مدن الدول الغربية في كل مجال من مجالات الحياة ، في الفن المعماري ، وفي توفير فرص التعليم والمعالجة الطبية والصناعة ، أما الثقافة فلا يبدو فيها أي فارق بين الشرق والغرب ، بل بين القرى النامية والمدن الكبرى ، وقد فتحت مراكز التعليم في القرى ، وتبدو للناظر في الصباح والمساء طوابير من الأطفال والكبار المتوجهين إلى مدارس العلم ، وأصبحت وسائل النقل المتطورة ميسرة ومهيأة في كل وقت ، ووسائل الاتصال المباشر متوفرة في كل مكان .

كل ذلك كان يقتضي أن تكون الحياة المعاصرة حياة أمن وسلام ، وحياة عافية وتضامن ووحدة ، ولكن النظر إلى الأوضاع الراهنة يؤدي الناظر إلى التشاؤم في مستقبل هذا العالم المتمدن ، ويبعث على الشعور باتجاه العالم المعاصر إلى التفكك والتبعثر ، رغم وجود وسائل الاتصال المتقدمة ، والالتقاء والتبادل في الخبرات والوسائل المهيأة بانتشار وسائل النقل والاستفادة .

إن خير وسيلة لمعرفة واقع الحياة المعاصرة وسائل الإعلام التي ينتشر

وكلاؤها في كل بقعة من بقاع العالم ، فينقلون إلى العالم مرئياتهم ومشاهداتهم بصور وتقارير مفصلة ولا يخفى على من يقرأ الصحف أو يجلس أمام التلفزيون ، أو يقضي بعض الوقت أمام جهاز الانترنت ، ما يحدث في العالم

ولا تحتاج وسائل الإعلام المعاصر إلى وكلاء ومراسلين" بل هناك وسائل مباشرة لنقل التصورات والمرئيات والتصورات والنظريات الشخصية عن طريق فيسبوك ويوتيوب ، وتويتر التي أطلقت الحرية لكل من يملك هذه الوسائل للتعبير عن الرأي .

إن الحرية المطلقة لاستخدام هذه الوسائل لنقل الأحداث ونقل التصورات والأفكار والاتجاهات تؤدي أحياناً إلى بلبلة الفكر وتشويش الأذهان عند ما تنشر فيها مواد تحمل التهجم على المعتقدات والنظريات ، وتجرح المشاعر الدينية والوطنية والقومية والجنسية والسياسية ، وبهذه الحرية المطلقة لاستخدام هذه الوسائل يتعرض العالم اليوم لاضطراب فكري وعملي ، وإذا لم يوضع حد لهذه الحرية المطلقة للإعلام وبروز التصرف الفردي المطلق في الأخبار والإعلام ، فإن العالم سيصبح مسرح صراع وتفكك ، يعيد العالم إلى ما كان عليه قبل الحضارة .

إن هناك اليوم حرية للاعتداء والتهجم على أي فكر ، أو شخصية أو تقديم صورة مضادة للواقع ، في أي وسيلة من هذه الوسائل الشخصية للإعلام ، كان الهجوم على نبي الرحمة والإساءة إليه والهجوم على المسلمين وسوء نقل الواقع عن المجتمع الإسلامي وتشويه سمعتهم عادة متبعة في الإعلام الغربي وانتقلت هذه العادة إلى الشرق فيشاهد في وسائل الإعلام ما يسيئ إلى الإسلام والمسلمين في فيسبوك ويوتيوب في الهند ؛ البلد الذي عرف بالأمن وعدم العنف ، والمؤاساة والمساواة في الماضي قبل عهد الإعلام وانتشار وسائل المعرفة التي أسيئ استخدامها كما أسيئ استخدام وسائل الإعلام ، وقد وقعت أخيراً مثل هذه الاعتداءات بنشر صور مهينة للإسلام والمسلمين

والرسول الأعظم ﷺ فاحتج المسلمون وتأثر به الجو الطائفي .

من أمثلة حرية نقل الأخبار خبر في يوتيوب أن البابا بنديكت الذي تنازل عن منصبه أخيراً ، قد أعلن إسلامه واختار اسما إسلامياً هو سجاد ، وأن عدداً من أتباعه اعتنقوا الإسلام ، وجاء في الخبر أنه عند ما سئل عن تصريحه الذي أدلى به عن النبي ﷺ بأنه ما جاء بخير إلا بالسيف ، فقال : أدلى بهذا التصريح قبل دراسة الإسلام والسيرة ، وصار هذا الخبر موضوع الساعة وحديث المحافل ولكن لم يصدق هذا الخبر من جهة موثوق بها ولم يكذب أحد من المسئولين .

ومثال آخر أن صاحب فلم الفتنة الهولندي أعلن الإسلام وذهب إلى السعودية لتأدية العمرة وبكى عند قبر الرسول ﷺ ثم ظهرت تعليقات على هذا الخبر هل هو واقع أم منحول ؟.

ومثل هذه الأمثلة كثيرة .

وبجانب الإعلام ووسائله تجري حركة لنقل الأفكار والتصورات الشخصية المتضاربة بتأليف كتب في السياسة والفكر ، يقدم الكاتب فكره ويصور الواقع بمنظوره ومقياسه ، ومثل هذه الكتب كتاب "شمس الإسلام تسطع على الغرب" للمستشرقة الألمانية هونكة ، وأصبح موضوع هذا العصر A World Without Islam (العالم بدون الإسلام) للكاتب الأمريكي Graham Fuller وظهرت على هذا الكتاب تعليقات على الانترنت ، وأصبح الكتاب موضوعاً شاغلاً مثل كتاب صراع الحضارات (The Clash of Civilization and the Remaking of World Order) لصموئيل هنتنغتن (Samuel Huntington) .

وتصدر سلسلة من كتب تعالج القضايا الإسلامية ، يظهر فيها الكتاب رؤيتهم عن الإسلام والمسلمين حسب دراستهم وفهمهم للإسلام ، وتنشر هذه الكتب في الأسواق العالمية ، ويقرؤها القراء ، وتحدث في أذهانهم أسئلة ، وفي أوربا أكاديميات خاصة بدراسة الإسلام تصدر بحوثاً

عن الإسلام ، وهذه الدراسات تحتاج إلى دراسة وبحث من وجهة النظر الإسلامية ، ولا يتحقق ذلك إلا بإنشاء مجامع وأكاديميات إسلامية للنظر في هذه البحوث ومناقشتها مناقشة علمية رزينة وغربلة الأفكار وإرشاد المثقفين .

كذلك هناك قنوات عاملة وشبكات ومواقع الانترنت والتلفزيون وتحقيقات ما يسمى بوكي ليكس التي تزيد بلبلة الفكر وتؤثر على العلاقات بين مختلف الطبقات ، وتثير الشكوك والشبهات ، وتقدم تصورات معاكسة لتصورات ثابتة ، وتثير قضايا جديدة للمناقشة والجدل ، وتحدث اضطراباً فكرياً وتشويشاً للواقع ويخشى أن تؤدي هذه الحرية لنقل الفكر والتصور علاوة على المواد المخربة عن الجنس ، وهوى النفس ، العالم إلى صراع فكري وعملي ، وتقضي على خلق الإنسان وميوله ونزعاته ، وتقضي على القيم الإنسانية وروح التسامح والتعايش في سائر مجالات الحياة :

لقد كان العلم والإعلام وسيلة للمعرفة ، كان الناس يثقون بهما ، فكان إذا شك أحد في أمر رجع إلى الكتاب أو شك في واقع رجع إلى كالصحيفة أو وسيلة الإعلام كالصيحفة والراديو ، أو كاتب ذكر اسمه بأنه يوثق به ، فبمن يثق الإنسان اليوم فيما يقرأ وفيما يشاهد ، بل فيما يعرف ويعلم ؟ إنه سؤال تحاربه العقول ، ومسألة يتوقف عليها مصير الإنسانية .

لقد أصبح العصر الذي نعيشه ، عصر اختلال الموازين ، والاضطراب في الفكر والعمل ، ومناهج الحياة ، رغم دعوى مفكري العصر وقادة الفكر من دعاة الحضارة المعاصرة التي مصدرها الغرب ، أن هذا العصر ، هو عصر الالتقاء والتعايش ، بل بلغ بعضهم حد وصف الإنسانية المعاصرة بأنها قرية باعتبار أن القرية فيها الهدوء ، والتضامن ، لأن سكان القرية ينتمون إلى أصول مشتركة ومصالح مشتركة ، فيهم تعاون وترابط .

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(سورة الفاتحة)

جمع وترجمة : محمد فرمان الندوي

[إن العلامة السيد سليمان الندوي كان يلقي دروس القرآن في جامع دار المصنفين (أكاديمية شبلي النعماني) بأعظم جراه ، الهند ، وقد نهل من هذه الدروس وعلَّ المفسر الكبير "صاحب التفسير القيم" الشيخ محمد أويس النجرامي الندوي ، فقيد بعض إفاداته العلمية بقلمه بالأردية ، ومنها تفسير سورة الفاتحة ، هذا الذي نقدمه أمام القراء بالعربية ، ويسعدنا أن نبدأ من هذه الحلقة سلسلة تفسير القرآن للعلامة ، الذي اهتم به في نسخته الخاصة للقرآن ، فكلما حضرته نكتة أو شرح وتفسير أثناء تلاوة القرآن كتبها على جانب الصفحة بذلك ، صارت نسخته تفسيراً للقرآن الكريم ، نسأل الله عز وجل التوفيق والسداد]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

قال العلامة : التعوذ أعلى درجة من التوكل على الله والاعتماد عليه ، وإن خلاصة التعوذ أن يقول الإنسان : يا رب ! لا أملك قوة أدفع بها الشيطان ، وأتغلب عليه ، فأنفي قوتي وقدرتي وألتجئ إليك ، فإن نصرك قوتي ، وإن عقيدة صيانتك جنتي ، هذا المعنى للتعوذ يوافق قول الله عز وجل في سورة النحل ، لأن الله تعالى صان المؤمن المتوكل على الله من مكر الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٩٨ – ٩٩)..

بسم الله الرحمن الرحيم :

هنا نكتتان : ١- كلمتا الرحمن والرحيم وردتا بدلاً للمعنى .

٢- فيهما رد على اعتراضات المسيحيين ، الذين يعتبرون إله المسلمين جباراً وقهاراً .

أي أن كلمة الله ، والرحمن والرحيم أسماء لذات واحدة ، هذا ما

أشار إليه القرآن الكريم ، جاء في سورة بني إسرائيل : ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ، هذه الآية وردت في السؤال عن الرحمن : وما الرحمن ؟

إن عامة المفسرين جعلوا كلمة الله اسم ذات ، وكلمتي الرحمن والرحيم من صفات الله تعالى ، فاعتبروا الرحمن والرحيم صفتين لكلمة الله ، هذا صحيح ، لكن المعنى الذي ذكر آنفاً أبلغ وأكثر تأثيراً ، لأن الله والرحمن والرحيم أسماء ربانية في القرآن ، وقد ذكرت كلمة الرحمن ، ثم الرحيم ، ولا تطلق كلمة الرحمن على أحد ، فاعتبرت كلمة الرحمن اسم ذات ، فاتضح منه أن إله المسلمين ذو رحمات كثيرات .

الحمد لله :

إن الألف واللام في "الحمد" للتحقيق ولإثبات الأمر ، أي أن حقيقة الحمد ثابتة لله سواء حمده أحد أم لم يحمده ، أوضح عامة المفسرين أن الألف واللام للاستغراق ، فكان معنى الحمد بالنظر إليه أن جميع أنواع الحمد جديرة بالله عز وجل ، هذا المعنى صحيح ، لكن استعمال "أل" في معنى إثبات الحقيقة يزيد بلاغة "الحمد" وتأثيره ، بحيث انتفى الحمد من غير الله ، وثبت استغناء الله تعالى عن حمد غيره ، وهو حقيقة عظيمة ، وقد كشف القرآن عنها مراراً ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة لقمان الآية/٢٦) وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة الحج الآية/٢٥) وقال : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ (سورة الزمر الآية/٧) ، وقد ورد عدم اطلاع الناس على حقيقة الحمد هذه في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٢٩) .

رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين :

١- تقتضي صفة الربوبية بأن يكون هناك يوم القيامة .

٢- قد ثبت وقوع القيامة عقلاً من هذه الآية أن يوم الجزاء إذا لم يأت نقصت أهمية الرحمن والرحيم من أسماء الله تعالى ، فكان وقوع يوم القيامة بالعقل لازماً ، ليكون الخير والشر مصدرين مهمين للحسنات والسيئات ، فليست الدنيا دار الجزاء ، وإذا كانت عاقبة الكافر والمؤمن بعد موته نهاية وفناءً ، فما الفرق بينهما ؟ ، إن فكرة عدم الإنصاف في

نظام ربوبية الله وعدله ذنب عظيم ، انظروا كيف ينادي نداءه القرآني في شأن القيامة : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (سورة القلم الآيتان/٣٥ – ٣٦) وقال : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ (سورة السجدة الآية/١٨) وقال : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة التين الآية/٨) يقول الشيخ المفسر العلامة محمد أويس النجرامي الندوي : قد استنبط المفسرون من "رب العالمين ومالك يوم الدين" عدة نكت علمية ، لكن النكتة التي سبق ذكرها آنفاً أحسن وأوفق للغرض ، ويتجلى منها فكرة : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ .

إياك نعبد وإياك نستعين :

هذه الآية في الواقع جملة واحدة ، "إياك نعبد" كانت دعوى محضاً وتمّ التأكيد بالجزء الآخر من الآية ، كأن الإنسان يقول : نعبدك يا رب ، لكن عبادتنا هذه تتوقف على توفيقك ، وإلا كنا عاجزين عن هذا .

يعتبر المفسرون عامة هذه الآية جملتين ، ويريدون بها معنيين : العبادة والاستعانة ، وهما صفتان منفردتان ، لكن القول الذي ذكر آنفا كم يُحدث في المعنى لطفاً ورقة ، وكم يؤيد معنى كمال العبودية أن كل شيء حتى السجدة الإلهية للعبد تتوقف على التوفيق الإلهي ، وقد جاء مثل هذا الاعتراف بهذه الحقيقة بلسان سيدنا شعيب عليه السلام : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ (سورة هود الآية/٨٨) وأمر سيدنا محمد ﷺ بأن يصدع بهذه القاعدة : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ (سورة آل عمران الآية/١٢٠) .

اهدنا الصراط المستقيم :

معنى الهداية : إراءة الطريق ، والإيصال إلى المطلوب ، فإذا كان السؤال هنا من الله تعالى غاية فلماذا لا نطلب الشيئ النهائي : أي أوصلنا إلى الغاية .

المراد من الصراط المسقيم : ملة الأنبياء ، خاصة ملة إبراهيم عليه السلام ، ووردت كلمة الهادي في هذا المعنى لجميع الأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (سورة الرعد الآية/٧) ، وتختص الهداية بهذا المعنى هنا من الله تعالى ، فقد خاطب الله سيد الأنبياء محمداً ﷺ : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة القصص الآية/٥٦) معناها بلغنا إلى غايتنا ،

وقال الشيخ عبد القادر الدهلوي مؤلف موضح القرآن في "اهدنا" : اللهم أرنا ، و ورد مثل هذا المعنى في مواضع شتى من القرآن ، لكن سورة الأنعام تشير بالكلية إلى هذا ، فقال الله تعالى : ﴿كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الأنعام الآيات/٨٥ – ٨٨) ، وكان العلامة الندوي حينما يشرح هذه الآيات يقول مبتسماً : إن الله على صراط مستقيم ، فكيف نجده على طرق أخرى ، ويتلو قول الله في سورة هود : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، هذه المزية تتجلى في القرآن في مواضع شتى ، وقد أمر النبي محمد ﷺ بآية في مثال ذلك ، وهي آية في سورة النحل تؤكد على اتباع ملة إبراهيم لأن إبراهيم عليه السلام كان يحمل صفة بارزة في التوحيد ، قال الله عز وجل : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

صراط الذين أنعمت عليهم :

المراد من أنعمت عليهم : الأنبياء والصديقون ، والشهداء والصالحون ، هذا هو المعنى الذي بينه المفسرون في ضوء الآية : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (سورة النساء الآية/٦٩) .

غير المغضوب عليهم ولا الضالين :

١- المراد من المغضوب عليهم : اليهود ، ومن الضالين : النصاري .

٢- دلت الآية على أن الغضب عليهم وضلالهم أشد وأفدح ، فعلى المسلمين أن يحذروا ذلك حذراً شديداً .

قال الله في سورة البقرة : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ وقال : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ ، وقد أشار الله إلى ضلال النصارى في سورة المائدة موضحاً عقيدة النصارى : إشراك مريم وعيسى في الألوهية : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ .

هذا المعنى قد اتفق عليه جمهور المفسرين ، لكن العلامة الندوي رحمه الله ينقل بهذه المناسبة قول العلامة ابن قيم الجوزية أن المراد من المغضوب عليهم : الذين ضلوا عمداً ، والمراد من الضالين الرجال الذين كانوا غافلين عن سبيل الحق إما لجهلهم أو لعتوهم وترفهم ، انظروا كيف قرع القرآن آذان الناس بكلمات صريحة وشديدة ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

إن عداوة اليهود والنصارى قديمة قدم التاريخ ، لكن هناك فرقاً بينهما أن النصارى أعداء المسلمين جهراً وعلناً ، فإنهم وإن صاروا لادينيين وتظاهروا بنبذ العصبية لكن حقدهم وعنادهم من المسلمين في طبيعتهم ، وإن نار العداوة التي تشعل بها عقولهم الآن ليست مفهومة إلا من كلمة "Saracens" يرجع تاريخها إلى الحملات الصليبية ، فالتاريخ يعيد درسها في هذه الأيام ، ليت المسلمين أبصروا هذا الواقع بأم عيونهم .

وبالعكس من ذلك فإن اليهود ما زالوا ينفثون السموم في جسد الإسلام مثل المنافقين ، فالمنافق الأول عبد الله بن أبي كان يهودياً ، وكان مؤسس الشيعة مختار الشيعي واحداً منهم ، وقد أثار فتنة الخوارج أيضاً حجاج الناصبي اليهودي ، ووقعت معركة الجمل وصفين بنفاق اليهود ، وإن اليهود اليوم ما زالوا يشنون الحرب ضد الإسلام في صورة "البحث الإسلامي" مستغلين ضعف المسلمين الديني والروحي .

يا للأسف على أن المسلمين يبحثون عن نجاحهم بغض البصر عن التوجيه القرآني والشهادات التاريخية ، محاكين حضارتهم وثقافتهم ، رغم أن المسكنة الحالية التي نتجت عن إهانة حقيقة الإيمان أدت بهم إلى ضآلة مكانتهم بين الأمم ، ولن يجدوا سبيلاً إلى التخلص من هذا الوضع المشين إلا في تقوية الإيمان وزيادته ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ .

حواشي القرآن :

هناك بعض الحواشي والتعليقات التي كتبها العلامة أثناء تلاوته للقرآن الكريم ، فإنها تفسير واف بالقرآن ، وهي نموذج جامع لتفسير القرآن بالقرآن ، فإنه كان يفسر القرآن أولاً بالقرآن ثم بالحديث النبوي الشريف – نذكرها هنا تعميماً للفائدة – وتستمر هذه السلسلة بمشيئة الله تعالى حتى إكمال تفسير جميع الآيات القرآنية .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ .

الحمد لله رب العالمين :

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (سورة الصافات الآية/٥) .

مالك يوم الدين :

﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (سورة الانفطار الآية/١٩) .

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ❖ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (سورة الذاريات الآيتان/١٢ – ١٣) .

﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ❖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ❖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ (سورة العاديات الآيات/٩ – ١١) .

اهدنا الصراط المستقيم :

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٦) .

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الحج الآية/٥٤) .

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا

أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٩) .

صراط الذين أنعمت عليهم :

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (سورة النساء الآية/٦٩) .

غير المغضوب عليهم :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/٦١) .

ولا الضالين :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١١٢) .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة الآية/٧٧) .

عرفنا من هذا التفسير منهج العلامة السيد سليمان الندوي في تفسير القرآن ، وهو تفسير القرآن بالقرآن ، كان يعتني بهذا الجانب اعتناءاً بالغاً ، وقد درس في بداية القرن العشرين الميلادي في أكبر جامعة إسلامية ، وهي دار العلوم لندوة العلماء ، بلكناؤ الهند ، وتبنّت هذه الدار العريقة منهج تدريس متن القرآن الكريم من دون كتاب تفسير خاص ، فكان من ثماره أن خريجي ندوة العلماء بداؤا يفهمون الآيات القرآنية فهماً مباشراً ، ويتذوقون بحلاوته المكنونة فيها ، فيفسرون القرآن أولاً بالقرآن ، ثم بالحديث النبوي الشريف وغير ذلك من مصادر التفسير .

بأقلام الشباب :

لماذا يطالب المسلمون

بتشريعات تجرم الإساءة للأنبياء والأديان ؟!

بقلم :الأستاذ حبيب الناملیتي

باحث شرعي إدارة الأوقاف السنية، مملكة البحرين

بات من الحوادث المتكررة والمؤرقة التعدي والإساءة إلى جناب النبي محمد صلى الله عليه وسلم بصورة متعددة، ومع كل حدث من هذا النوع تجتاح الأمة حالة من الغضب العارم وتظهر على الساحة ردود أفعال سريعة وقوية، وما أن تهدأ إلا وتعود إلى سابق عهدها وترجع إلى طبيعتها .

ذلك يستوجب على العقلاء وضع خطط ومناهج دائمة للنصرة التي تتخذ صورة متعددة وجوانب عدة ، منها الاقتداء بهدي النبي عليه السلام ، والاستنان بسنته ونشر سيرته ، ومن الوسائل العملية التي تقلل مثل هذا الإجرام المشين في حق خير المرسلين دعوة الدول والمنظمات العالمية لاستصدار تشريعات دولية تجرم الاعتداء والإساءة إلى أي نبي أو ديانة ، حتى يقطع زعم من يدعي بأن ذلك من الحريات الشخصية أو صور من صور الفن .

وقد يثور تساؤل عند البعض ما الداعي إلى استصدار مثل هذه القوانين ؟ ولماذا دعي علماء ومفكرون مسلمون لذلك؟ هل نحن بحاجة فعلاً إلى هذه القوانين ؟ وما آثارها على الدعوية المخالفين لنا في العقيدة ؟

إن هذه المطالبات تحمل في طياتها معنى دعوى جليل وتطبيق عملي لتوجيه قرآني نبيل ، يأمر باحترام الأنبياء وعدم التفريق بينهم، وعدم التطاول عليهم، والإيمان بشرائعهم المعتبرة ، وبكتبهم المنزلة ، لأنهم هم المبلغون عن الله، والكفر بأحدهم كالكفر بهم جميعاً – .

وبهذا يخرج المسلمون من دائرة التنظير إلى دائرة التفعيل، وهي بلا ريب أرسخ في الدلالة ، وأقوى في تحقيق المراد ؟ يقول الله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٨٥) .

ومنها الاتفاق على خطوط مشتركة وقواعد عامة يجتمع عليها جميع العقلاء ، فإن السخرية المبتذلة التي تبتعد عن النقاش العلمي والحوار المنطقي غير مقبولة عند الأسوياء من شرفاء العالم ، وأهل الرشد في الحضارة الإنسانية .

فضلاً عن تحقيقها لهدفها الأول والأصلي وهو التخفيف من شدة الحملة الموجهة على الإسلام وعلى نبي الإسلام، فإن تجريم الإساءة للأنبياء يمثل نوعاً من الردع في دول ، ليس للمسلمين فيها سلطان ، ولا هيمنة .

من هنا يأتي قيام كل واحد بدوره والوفاء بواجبه في تخصصه ومجاله ، فالقانوني والسياسي لا يتوقف عن المطالبة ، والداعية يستغل هذا الموقف الذي يبين فيه خلفيات هذا الموقف الذي يشير إلى مقاصد الشريعة ، ومنها الدعوة إلى الإنصاف والرد بالحسنى .

فضل من علم وعلّم

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ .

فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ، (رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلّم) (نقلاً من كتاب المختار من فرائد النقول والأخبار لفضيلة الشيخ المحدث محمد عوامه) .

إلى رحمة الله تعالى:

فضيلة الشيخ محمد اجتباء الحسن الكاندهلوي في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ محمد اجتباء الحسن المظاهري الكاندهلوي ، والد الشيخ محمد اصطفاء الحسن الندوي أحد مدرسي دار العلوم لندوة العلماء ، وذلك بعد معاناة من أمراض الكلية التي أصيب بها منذ مدة وكان يعالجها في ولاية بنجاب حيث كان مقيماً عند نجله الكريم فضيلة الشيخ المفتي الشيخ محمد ارتقاء الحسن الكاندهلوي مفتي الولاية الكبير ، إلا أنه لم يكتب له الشفاء وغادر إلى ربه الكريم يوم الخميس ٢١/من شهر جمادى الثانية ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/٥/٢م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ المرحوم من أسرة علماء كاندهلة بمديرية سهارنفور الهند ، فقد كان الداعية الإسلامي الكبير مؤسس جماعة التبليغ العالمية زوج أخت والده المرحوم ، وقد قام بعملية التدريس لمدة ثم انتقل إلى جامعة عليكراه الإسلامية حيث كان إماماً وخطيباً من القسم الديني للجامعة ، إنه ألف كتاباً باسم (سانحۂ عظیم) الذي يشمل حادث وفاة النبي ﷺ ، كما ألف رسالة حول دعوات النبي ﷺ المسنونة .

عاش مبجلاً مكرماً بين أوساط العلم والدين ولم تتجازو سنه عن ٧٢/عاماً ، ونحن إذ نعزي أنجاله الكرام وجميع أعضاء الأسرة نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر الجميل والتوفيق لدعاء الرحمة والمغفرة من الله تعالى فإنه سميع قريب مجيب .

٢- فضيلة الشيخ زين العابدين الأعظمي القاسمي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ زين العابدين الأعظمي القاسمي يوم الأحد في ١٩/من شهر جمادى الثانية عام ١٤٣٤هـ الموافق

٢٧/من شهر أبريل ٢٠١٣م في موطنه الشهير "فوره معروف" بمديرية مئو شرقي الولاية الشمالية في الهند ، بعد معاناة من مرض عضال لم يكتب له البرء منه رغم معالجات ناجعة لدى الأطباء البارعين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ الأعظمي من كبار علماء الهند تميز بدراسات السنة والحديث النبوي الشريف كما كان عميق الفكر والعلم برجالات إسناد الحديث ، قام بتدريس العلوم الإسلامية والحديث الشريف في مدارس الهند الكبرى ، وفي الأخير كان رئيس قسم التخصص في الحديث والسنة في جامعة مظاهر علوم بسهارنفور .

ميزه الله تعالى بصفات كثيرة من العلم والدين والورع والإخلاص ودماثة الخلق ولين العريكة ، كما كانت علاقته بالدعاة إلى الله تعالى ، فكان يخرج في سبيل الدعوة معهم ، ويبذل لها طاقاته ووسائله المتوافرة لديه ، كما أنه كان يتميز بالتواضع ويشارك مجالس الوعظ والعلم ويستفيد من أهل العلم والدين حيثما وجد فرصة لذلك ، فكأنه كان عاملاً بمبدء "الحكمة ضالة المؤمن فحيثما وجدها فهو أحق بها" كان مشغولاً بترجمة كتاب الإمام البخاري "الأدب المفرد" إلى اللغة الأردوية لكي يستفيد منه مَن لا يعرفون اللغة العربية ، ولعل الترجمة قد كملت ويرجى أن يقوم بنشرها بعض أقاربه أو أنجاله .

بلغ من العمر ٨٠/عاماً مشغولاً بالعلم والدعوة ، متمثلاً بعالم الدين والداعية المخلص ، والمدرس الجليل للعلوم الإسلامية .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وأغدق عليه شآبيب الرحمة والمغفرة وأكرم نزله في جنات ونعيم وألهم أهله وذويه الصبر الجميل ، "ومن يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" .

٣- رحيل حرم الأستاذ محمود الأزهار الندوي المرحوم ، إلى الله تعالى

الأستاذ محمود الأزهار الندوي كان أحد أساتذة دار العلوم يدرس الموضوعات المختلفة ، وكان ذا معلومات واسعة بما يجري في العالم من

تطورات وتقنيات وما يوجد فيه من منظمات وجمعيات كما كان ذا تدبير وتنظيم للندوات والمؤتمرات التي كانت تعقد في دار العلوم وملحقاتها من المدارس والجمعيات ، توفي رحمه الله في عام ٢٠٠٦م وخلف وراءه أهله وأنجاله ممن كانوا ذوي خبرة واختصاصات دراسية ومهارة فائقة في استعمال الأجهزة الإعلامية والكمبيوتر .

توفيت أهله بعد معاناة من الأمراض يوم السبت ١٤٣٤/٦/١٥هـ الموافق ٢٠١٣/٤/٢٧م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فكان يوم حزن وتعزية لأسرتها وأولادها ، ونحن إذ نعزيهم ونسأل الله تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ويدخلها فسيح جناته نتضرع إليه أن يلهم الجميع الصبر الجميل والدعاء الوفير ، للمغفرة والرحمة ، فإنه سميع مجيب قريب .

٤- الشيخ صغير أحمد الندوي إلى رحمة الله تعالى

توفي الشيخ صغير أحمد الندوي أحد أبناء دار العلوم القدامى ، ورئيس جامعة أنوار العلوم بمدينة أورنغ آباد ، يوم الاثنين ١٧/من شهر جمادى الثانية ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/٤/٢٩م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم قد قضى وقتاً طيباً في دار العلوم حيث أتم دراسته من الثانوية إلى الفضيلة ، وكان ذا اتصال بالأساتذة والمسئولين الكرام ، وبالأخص عاش تحت تربية فضيلة الأستاذ إسحاق جليس رحمه الله ، رئيس تحرير صحيفة "تعمير حياة" سابقاً ، الصادرة من مؤسسة الصحافة والإعلام في ندوة العلماء ، الذي كانت له مهارة في تربية الطلاب وإعدادهم لأداء مسئوليتهم المستقبلية .

والشيخ صغير الندوي كان من أحمد ناغر بولاية مهاراشتر ، وقد اشتغل بأعمال تعليمية في بعض المدارس الإسلامية ، وفي الأخير انتظم إلى إدارة مدرسة أنوار العلوم ، وظل على منصب الرئيس إلى آخر حياته .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)